الفَصْلُ التَّاسِعُ

خُطَبٌ حَفْلِيَّةٌ

(١) خُطَبُ الوُفُودِ

١ ـ خُطْبَةٌ للأحْنَفِ بنِ قَيْسٍ التَّميميِّ بينَ يَدَيْ مُعَاويةَ بنِ أبي سُفيَانَ

أنساب الأشراف ٤: ١: ١٦

قَدِمَ الأحْنَفُ بنُ قَيْسٍ الشَّامَ في وَفْدِ أهْلِ البَصْرةِ، فلمَّا دَخَلَ على مُعاوية قالَ:

«وا للهِ ما أَتَيْنَاكَ يا أميرَ المُؤْمنينَ لِتَهْدِينَا من ضَلالَةٍ، ولا لِتُعِينَنَا[١] من عَيْلَةٍ[٢]، ولا لِتَمْنَعَنَا[٣] من ذِلَّةٍ[٤]، ولكنْ للسَّمْعِ والطَّاعَةِ»!

٢ ـ خطبةٌ للأحْنَفِ بنِ قَيْسٍ التَّمِيميِّ بينَ يَدَيْ مُعاويةَ بنِ أبي سُفْيَانَ

زهر الآداب ١: ٥١

وأنساب الأشراف ٤: ١: ١٧٩

وَفَد أهْلُ العِرَاقِ على معاويةَ، ومعهم زيادٌ، وفيهم الأحْنَفُ، فقالَ زِيَادٌ:

«يا أميرَ المؤمنين، أشْخَصتْ إليك أقْوَاماً الرغبةُ، وأقعدَ عنك آخرين العُذْرُ، فقد جعلَ اللهُ تعالى في سعة فضلك ما يُجْبِرُ[٥] به المتخلف، ويُكَافأُ به الشَّاخصُ».

فقال معاوية: «مرحباً بكم يا معشرَ العربِ، أما وا لله لئن فرَّقَتْ بينكم الدَّعْوَةُ[٦] لقد جمعَتكم الرَّحِم. إنَّ اللهَ اختارَكُمْ من الناسِ ليختارَنا منكم، ثم حَفِظَ عليكم نَسَبَكم بأن تخيَّر لكم بلاداً تُجتاز عليها المنازل، حتى صفَّاكم من الأُمم كما تصفَّى الفضةُ البيضاءُ من خَبَثِها[٧]. فصُونوا أخلاقكم، ولا تُدَنِّسُوا أنسابَكم وأعراضَكم، فإنَّ الحسَنَ منكم أحْسَنُ لقُرْبكم منه، والقبيحَ منكم أقبحُ لبعدكم عنه».

---

(١) أعَانَهُ: أسْعَفَهُ وقَضَى حاجَتَهُ.

(٢) العَيْلَة: الفَاقةُ والحاجة.

(٣) مَنَعَهُ: حَمَاهُ.

(٤) الذِّلَّة: الهَوانُ والضَّعَةُ والخِسَّةُ.

(٥) جَبَرَ الفقيرَ: أغْنَاهُ، شُبِّهَ فَقْرُهُ بانكسارِ عَظْمِه.

(٦) الدَّعْوَةُ: الحِلْفُ.

(٧) خبث الحديد والفضة: ما نفاه الكِيرُ إذا أُذِيبَا، وهو ما لا خير فيه.

فقال الأحنفُ: «وا لله يا أمير المؤمنين، ما نَعْدَم منكم قائلاً جزيلاً[١]، ورأياً أصيلاً، ووغداً جميلاً. وإنَّ أخاك زياداً لمتَّبعٌ آثارَك فينا، فَنَسْتَمْتِعُ ا لله بالأميرِ والمأمور، فإنكم كما قال زهير[٢]، فإنه ألقى عن المدَّاحين فُضُولَ القول»[٣]:

وما يـلـكُ مـن خَـيْرٍ أَتَـوْهُ فَإِنَّمـا ... تَوَارَثَـهُ آبـاءُ آبـائِهم قَبْـلُ

وهَـلْ يُنْبِـتُ الخَطِـيَّ[٤] إلا وَشِـيجُهُ[٥] ... وتُغـرَسُ إلا في مَنَابِتِهـا النَّخْـلُ

٣ ـ خُطْبَةٌ لإبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ طَلْحَةَ القُرشيِّ بينَ يَدَيْ عبدِ المَلكِ بنِ مَرْوَانَ

العقد ٢: ٧٩
وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٢: ٢٦١
ووفيات الأعيان ٢: ٤١
وسرح العيون ص: ١٧٤

لَمَّا وَلِيَ الحجّاجُ بنُ يوسُفَ الحَرَمين بعد قَتْلِه ابنَ الزبير اسْتَخْلَصَ[٦] إبراهيمَ بنَ محمدِ بنِ طلحةَ، فقرَّبَهُ[٧]، وعظَّم مَنْزِلَتَهُ. فلم تزلْ تلك حالَهُ عندَهُ حتَّى خرجَ إلى عبد الملكِ بنِ مروان، فخرج معه مُعادِلاً[٨]، لا يُقصِّر له في برٍّ[٩] ولا إعظامٍ، حتى حضَرَ به عبدَ الملك. فلما دَخَلَ عليه لم يَبدأ بشيءٍ بعدَ السَّلام إلاَّ أنْ قالَ له:

«قَدِمتُ عليك أميرَ المؤمنينَ برجُلِ الحِجاز، لم أدَعْ له بها نظيراً في الفَضْل والأدبِ والمُرُوءةِ وحُسنِ المَذْهبِ، مع قَرابة الرَّحمِ، ووُجوبِ الحقِّ، وعِظَمِ قَدْرِ الأُبوة، وما بلوتُ[١٠] منه في الطاعة والنَّصيحةِ[١١] وحُسنِ المُوازرة[١٢]، وهو إبراهيم بنُ محمدِ بنِ طلحةَ، وقد أحْضَرتُه بابَك لِيَسْهُلَ

(١) الجزيل: العاقل الأصيل الرأي.
(٢) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ص: ١١٥.
(٣) انظر الأغاني ١٠: ٢٩٠.
(٤) الخطي: الرمح المنسوب إلى الخط، وهو مرفأ السفن بالبحرين، تنسب إليه الرماح لأنها تباع به، لا أنه منبتها.
(٥) الوشيج: جمع وشيجة، وهي شجرة الرماح.
(٦) اسْتَخْلَصَهُ: اسْتَصْفَاه واسْتَخَصَّهُ.
(٧) قَرَّبَهُ: أدْنَاهُ.
(٨) المُعادِل: الذي يُعَادِلُكَ في المَحْمِل، يقال: عَدَلَ الرجلَ في المَحْمِلِ وعَادَلَهُ أي: ركبَ معه.
(٩) البرُّ: الصِّلة والإحسان والإنعام.
(١٠) بَلاهُ: خَبَرَهُ وعَلِمَهُ.
(١١) النصيحة: إرادةُ الخَيْرِ للمَنْصُوحِ له.
(١٢) المؤازرة: المعاونة.

عليه إذنُك، وتَعْرِفَ له ما عَرَّفْتُكَ. فقال: أذْكَرْتَنا رَحِماً قريبةً، وحقاً واجباً، يا غلام، ائذن لإبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ طلحة. فلمَّا دخلَ عليه أدْنَاهُ عبدُ الملكِ حتى أجلسه على فِراشِه[1]».

ثم قال له: يا ابنَ طلحةَ! إنَّ أبا محمد ذكَّرنا ما لم نَزل نَعرفُكَ به في الفَضْلِ والأدبِ والمُروءةِ وحُسنِ المذهبِ، مع قرابةِ الرَّحمِ، ووجوبِ الحقِّ، وعِظَمِ قَدْرِ الأبوَّةِ، وما بَلاهُ منك في الطَّاعةِ والنَّصيحةِ وحُسن المؤازرةِ، فلا تَدَعنّ حاجةً في خاصَّةِ نَفْسِك وعامَّتك إلا ذكرتَها.

فقال: «يا أمير المؤمنينَ، إنَّ أولَ الحوائجِ وأحقَّ ما قُدِّم بين يَدَيْ الأمورِ ما كان لله فيه رِضاً، ولحقِّ نبيِّهِ ﷺ أداءٌ، ولك فيه ولجماعةِ المسلمينَ نصيحةٌ. وعندي نصيحةٌ لا أجد بُدًّا من ذِكْرِها، ولا أقْدِرُ على ذلك إلا وأنا خالٍ[2]، فأَخْلِني[3] يا أميرَ المؤمنين تَرِدْ عليك نَصيحتي. قالَ: دونَ أبي محمد؟ قالَ: نعم، دون أبي محمدٍ! قالَ عبد الملك للحجَّاج: قُم. فلما خَطْرَف[4] السِّتْرُ أقبلَ عليَّ، فقال: يا ابنَ طلحةَ، قُلْ نَصيحتَك. فقال: تا للهِ يا أميرَ المؤمنينَ، لقد عَمِدتَ إلى الحجَّاجِ في تَغَطرسِهِ[5]، وتَعَجْرُفِهِ[6]، وبُعدِه من الحقِّ، وقُربِهِ من الباطلِ، فولَّيتَه الحرمين، وهما ما هما، وبهما ما بهما من المهاجرينَ والأنصارِ والموالي الأخيار يَطؤُهم[7] بطَغام[8] أهلِ الشَّام، ورَعَاعٍ[9] لا رَوِيَّة[10] لهم في إقامة حَق، ولا في إزاحة[11] باطل،

---

(١) الفراش: السَّرير.

(٢) خالٍ: مُسْتقِلٌّ مُنْفَرِدٌ.

(٣) أخلاه: خَلاَ معه وأخْلَى له مَجْلِسَهُ، أي: لَقِيَهُ وحدَهُ.

(٤) خَطْرَف: انْسَدَلَ واسْتَرخَى.

(٥) التَّغطرس: الظُّلم والتَّكبُّر والتَّطاول على الأقران.

(٦) التَّعجرف: الجفاء والتكبُّر والتَّهور، يقال: فلان يَتَعَجْرَفُ على فلانٍ إذا كان يَرْكَبُهُ بما يَكْرَهُ ولا يَهابُ شيئاً. وتَعَجْرَفَ فلانٌ علينا: إذا تكبَّر.

(٧) وَطِئَهُ: أخَذَهُ أخذاً شديداً. والوَطْءُ في الأصل الدَّوْسُ بالقَدَمِ، فَسُمِّيَ به الغَزْوُ والقَتْلُ، لأن مَنْ يطأ على الشيء برجله فقد اسْتقصى في هلاكه وإهانته.

(٨) الطَّغام: أرْذال النَّاس وأوغادهم.

(٩) الرَّعاع: سُقَّاطُ الناس وسِفْلَتُهم.

(١٠) الرَّوِيَّة: الأناة والتَّفكُّر في الأمر، أي: أن تَنْظُرَ ولا تَعْجَلَ.

(١١) إزاحَةُ الباطل: إزالَتُهُ.

ويَسومُهم الخسفَ[١]، ويحكمُ فيهم بغيرِ السُّنةِ، بعد الذي كانَ من سَفْكِ دمائهم[٢]، وما انتُهك من حُرَمِهم[٣]. ثم ظننتَ أنَّ ذلك فيما بينَك وبينَ الله زاهقٌ[٤]، وفيما بينَك وبينَ نَبِيِّك غداً إذا جاثَاك[٥] للخصومةِ بين يدي الله في أمَّتِهِ. أما والله لا تَنْجُو هنالك إلا بحُجَّةٍ، فاربَعْ[٦] على نَفْسِك أو دَعْ. فقالَ له عبدُ الملك: كذبْتَ ومِنْت[٧]، وظنَّ بك الحجَّاجُ ما لم يَجدْهُ فيك، وقد يُظنُّ الخيرُ بغيرِ أهْلِهِ، قُم فأنت الكاذبُ المائِنُ! قال: فقمتُ وما أعرفُ طريقاً[٨]. فلما خَطرفَ السِّتْرُ لَحِقني لاحقٌ، فقال: احبسُوا هذا. وقال للحجَّاج: ادْخُلْ، فَدَخَلَ، فمكثَ مَلِيًّا[٩] من النهار لا أشكُّ أنهما في أمري. ثم خرجَ الآذِنُ، فقال: ادخل يا ابنَ طلحةَ. فلما كُشِفَ لي السِّتْرُ لَقِيَني الحجَّاجُ، وهو خارجٌ وأنا داخلٌ، فاعتَنَقني وقبَّل ما بينَ عَيْنيَّ، وقال: أما إذا جَزَى الله المتواخِيَيْن[١٠] خيراً بفضلِ تواصُلِهم[١١] فجزاك الله عنِّي أفضلَ الجزاءِ، فوالله لئن سَلِمْتُ لك لأرفعنَّ ناظرَك[١٢]، ولأُعْلِيَنَّ كَعبَك[١٣]، ولأُتبعنَّ الرجالَ غُبَارَ قَدَميْكَ. قالَ: قلتُ: يَهزأُ بي

---

(١) سامَهُ الخَسْفَ: أوْلاهُ الذُّلَّ والهَوان. يقال: سامَهُ الأمر، أي: كلَّفه إياه أو أوْلاهُ إياه، وأكثرُ ما يُسْتَعْمَلُ في العَذاب والشَّرِّ والظُّلْم.

(٢) سَفَكَ دمه: أراقَهُ وأجراه، أي: قَتَلَهُ.

(٣) انْتَهَكَ حُرْمَته: تَناوَلها بما لا يَحِلُّ.

(٤) زهق الشيء: بَطَل وهَلَكَ واضْمَحَلَّ.

(٥) جاثاهُ للخصومة: جَلَس كلٌّ على رُكْبَتَيْهِ مُسْتَوْفزاً.

(٦) اربع: كُفَّ وارْفِقْ.

(٧) مان: كَذَبَ.

(٨) ما أعرفُ طريقاً: أي: فَزِعاً خائفاً مضطرباً حائراً.

(٩) مكثَ مَلِيًّا من النهار: أي: ساعةً طويلةً.

(١٠) المتواخيان: اللذان اتَّخذَ كلٌّ منهما صاحبُهُ أخاً له.

(١١) التَّواصُلُ: التَّوادُّ والتَّصافي.

(١٢) رَفَعَ ناظِرَه: أي: رأسَهُ. وفي المَثَلِ: «رَفَعَ به رأساً»، أي: رَضِيَ بما سَمِعَ وأصاخَ له. (مجمع الأمثال ١: ٦٢).
والمراد اخْتَرَمَهُ وأكْرَمَهُ وأعَزَّهُ وعَظَّمَهُ.

(١٣) أعْلَى الله كَعْبَهُ: أي: جَدَّه، ويقال: أعْلَى الله شَرَفَهُ.
قال ابنُ منظور: وفي حديث قَيْلَةَ: «والله لا يزال كَعْبُكِ عالياً»، هو دعاءٌ لها بالشرفِ والعُلُوِّ. (اللسان: كعب).
وقال أيضاً: وفي حديث قَيْلَةَ: «لا يزالُ كَعْبُكِ عالياً»، أي: لا تَزالين شريفةً مرتفعةً على مَنْ يُعاديك. (اللسان: علا).
ويقال: ذهبَ كعبُ القوم إذا ذهبَ جَدُّهم وشرفُهم. (أساس البلاغة: كعب).

وحقِّ الكعبةِ. فلما وصلتُ إلى عبدِ الملكِ أَدنانِي حتى أدناني عن مجلسي الأوَّلِ. ثم قال: يا ابنَ طلحةَ، لعلَّ أحداً شاركَكَ في نصيحَتِك هذه؟ قلت: وا للهِ يا أميرَ المؤمنين، ما أعلمُ أحداً أنْصعَ عندي يداً[١]، ولا أعظمَ مَعْرُوفاً[٢] من الحجَّاج، ولو كنتُ محابياً[٣] أحداً لِغَرضِ دُنيا لحابيتُه، ولكني آثرتُ[٤] الله ورسولَهُ، وآثرتُك والمؤمنينَ عليه. قال: قد عَلمتُ أنَّكَ لم تُرِدِ الدُّنيا، ولو أرَدْتَها لكانت لك في الحجَّاجِ، ولكن أردتَ الله والدارَ الآخرةَ. وقد عزلتُه عن الحرمين لما كَرِهْتَ من ولايتِهِ عليهما، وأعلمته أنك اسْتَنْزلتَني[٥] له عنهما استقلالاً[٦] لهما، وولَّيتُه العراقين، وما هنالك من الأمورِ التي لا يُدْحِضُها[٧] إلا مثلُه، وأعلمتُهُ أنَّك استدعَيْتَني[٨] إلى ولايته عليهما استزادةً له، لأُلزِمَهُ بذلك من حقِّكَ ما يؤدِّي إليك عنِّي أجرَ نَصيحَتِك. فاخْرُجْ معه، فإنَّك غير ذامٍّ لصُحْبَته. فخرجتُ مع الحجَّاجِ وأكرمني أضعافَ إكرامه[٩] ».

---

(١) أنْصَعُ يداً: أظْهَرُ فَضْلاً.

(٢) أعظم مَعْرُوفاً: أكبر خيراً.

(٣) حاباه: نَصَرَهُ واختصَّ به ومال إليه.

(٤) آثرَهُ: فَضَّلَهُ وقَدَّمه.

(٥) اسْتَنْزَلتني له عنهما: سألتني أنْ أجْعَلَه يتركهُما ويَتخلّى عنهما.

(٦) استقلَّ الشيءَ: رآه قليلاً.

(٧) أدْحَضَ الأمرَ: أبْطَلَهُ وأزاله.

(٨) اسْتَدْعَاه إلى الأمر: أرَادَهُ عليه وحَمَلَه.

(٩) للخبرِ والخطبةِ روايةٌ أخرى قصيرةٌ مختلفةٌ أوْرَدَها البلاذريُّ، فقال:

«قالوا: وَوَفِدَ الحجَّاج إلى عبدِ الملكِ بعدَ قتلِ ابنِ الزُّبيرِ، وأوفدَ معه ابنَ الحنفيَّةِ، وعبدَ الله بنَ عمرو بنِ عثمانَ، وعمرَ بنَ عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ، وعيسى بنَ طلحةَ، ومحمدَ بنَ سعدِ بنِ أبي وَقَّاصٍ في رجالٍ آخرين، قالوا: فَدَخَل عيسى بنُ طلحَةَ على عبدِ الملكِ في هذه الوفادةِ، ويقال في غيرها، فسأله أن يُخلِّيَهُ، فقال: إنه ليس دونَ الحجَّاج سرٌّ. فقال: وا لله لئن لم تُخلِّني لا قَبِلْتُ صِلَتَكَ، ولأرجعنَّ ساخطاً، قد قَطَعْتَ رَحِمي. فأخلاه، فقال: يا أميرَ المؤمنين، سَلَّطْتَ علينا هذا الغلامَ من ثقيفٍ، لا يعرفُ لقومِكَ حقاً. فقال: إنكم ما تعرفونَ منه شيئاً إلاَّ وأنا عارفٌ به، وأنا عازِلُهُ عنكم عَزْلاً جميلاً. فلا يسمعنَّ هذا منك أحدٌ، فإني أخبرهُ أنك أثنيتَ عليه. وخرجَ فأخبرَ عبدُ الملك الحجَّاجَ أنَّ عيسى أثنى عليه، فأتى الحجاجَ عيسى، فوقَفَ عيسى على بابِهِ وَوَصَلَه. وقال بعضهم: إنَّ المتكلم بهذا الكلامِ والذي أخلاهُ عبدُ الملكِ عمروُ بنُ عبدِ الرحمن بنِ عوفٍ». (أنساب الأشراف ٧: ٢٠٥).

٤ ـ خُطْبَةٌ لزيادِ بنِ عَمْرٍو العَتَكيِّ بينَ يَدَيْ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ

البيان والتبيين ٢: ٦٦
وأنساب الأشراف ٧: ٢٢٦
والكامل للمبرد ٣: ١٥٥
والعقد ٢: ١٣٧
وبهجة المجالس ٢: ٥١٠

كان الحجَّاجُ بن يُوسُفَ يَسْتَثْقِلُ زِيادَ بنَ عَمْرٍو العَتَكيَّ. فَلَمَّا قَدِمَ معه الشَّامَ في وَفْدِ أَهْلِ العراق، وأثنى الوَفْدُ على الحجاج عندَ عبدِ الملكِ، والحَجَّاجُ حاضرٌ، قال زيادٌ:

«يا أميرَ المؤمنينَ، إنَّ الحجَّاجَ سَيْفُكَ الذي لا يَنْبو[١]، وسَهْمُكَ الذي لا يَطِيش[٢]، وخادمُك الذي لا تأخُذُهُ فيك لَوْمةُ لائمٍ».

فلم يكنْ بعدَ ذلك أحدٌ أخفَّ على قلبِهِ منه.

٥ ـ خُطْبَةٌ لرجلٍ من الأَزْدِ بينَ يَدَيْ عبدِ المَلِكِ بنِ مَرْوَانَ

أمالي القالي ٢: ٢٥٥

بَعَثَ الحجَّاجُ بن يُوسُفَ خُطَباءَ من الأَحْماسِ[٣] إلى عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ، فَتكَلَّمُوا، فلمَّا انْتَهَى الكلامُ إلى خطيب الأَزْدِ قامَ، فقال:

«قد علمتِ العَربُ أنَّا حَيُّ فِعَال[٤]، ولسنا بَحَيِّ مَقَال، وأنَّا نَجْزِي[٥] بِفِعْلنا عند أَحْسَنِ قولهم. إنَّ السيوفَ لَتعرفُ أكُفَّنا، وإنَّ الموتَ ليَسْتَعْذِبُ أرْواحَنا. وقد عَلِمَتِ الحربُ الزَّبُونُ[٦] أنَّا نَقْرَعُ[٧] جِماحَها[٨]، ونَحْلُب صَرَاها[٩]».

---

(١) نَبَا السَّيْفُ: كَلَّ و لم يَقْطَعْ.

(٢) طاش السَّهْمُ: جَارَ عن سَنَنِه، أو عَدَلَ عن هَدَفِهِ، و لم يَقْصِدِ الرَّمِيَّة.

(٣) الأحماس: قبائلُ البصرة الخَمْس الكبيرة، وهي تميمٌ، وبكرٌ، وأهْلُ العالية، والأزد، وعبد القيس. (انظر التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، ص: ٥٣).

(٤) الفِعال: جمع فِعْلٍ، وهو العَمَلُ.

(٥) نَجزي: نُغني.

(٦) الزبون: التي تَزْبُنُ النَّاسَ، أي: تَصْدُمُهم وتَلْفَعُهم.

(٧) قَرَعَ الدَّابة بلجامها: كَفَّها به وكَبَحَها.

(٨) الجماح: من جمح الفرسُ بصاحبه أي: ذهب يَجْري على وجهه وقَهَرَ فارسه وغلبه، فلم يتمكَّن من رَدِّه أو ثنيه.

(٩) الصَّرَى: اللَّبَنُ الذي بقي في ضَرْعِ النَّاقة فتغيَّر طعمُه.

٦ ـ خُطْبَةٌ لرجلٍ بينَ يَدَيْ سُليمانَ بنِ عبدِ المَلِكِ

أنساب الأشراف ٨: ١٠٩

وعيون الأخبار ١: ١٠٦، ٣: ١٦٨

وَفَدَ قومٌ إلى سُليمانَ بنِ عبدِ المَلِكِ، فقالَ مُتَكلِّمُهم:

«إنَّا وا للهِ ما أتَيْناكَ رغبةً[١] ولا رَهْبةً[٢]، أما الرَّغبةُ فدَخلتْ علينا مَنازِلَنا، وأمَّا الرهبةُ فآمَنَاها[٣] فَضْلُكَ وَعْدلُكَ. ولقد حَبَّبْتَ إلينا الحياةَ، وهوَّنتَ علينا الموتَ، لأنا نَثِقُ بإحْسَانك لأنْفُسِنا، ونَرْجُوكَ لِمَنْ يَخْلُفُ بَعْدَنا من أعْقَابِنَا».

فَأَحْسَنَ صِلَتَهُمْ[٤] والنَّظَرَ[٥] لهم.

٧ ـ خطبةٌ لشابٍّ من وَفْدِ العِرَاقِ بينَ يَدَيْ عمرَ بنِ عبدِ العَزيزِ

أنساب الأشراف ٨: ١٣٣

وعيون الأخبار ١: ٢٣٠

والعقد ٢: ١٤٠

ومروج الذهب ٣: ١٩٧

وزهر الآداب ١: ٧

قَدِمَ وَفْدٌ على عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ من العراقِ، فنظَرَ عمرُ إلى شابٍّ منهم يَتهيَّأُ للكلامِ، فقالَ عمرُ: ليتكلَّمْ أكبرُكُمْ سِنًّا. فقالَ الفَتى: يا أميرَ المؤمنينَ، ليسَ الأمرُ بالسِّنِّ، ولو كانَ كذلك كانَ في المُسْلمينَ من هو أسَنُّ منك! قال: صَدَقْتَ، فَتَكَلَّمْ، فقالَ:

«إنَّا لم نأتِكَ رَغْبةً ولا رَهْبة، أمَّا الرَّغْبةُ فأتَتْنَا في بلادِنا، ودَخَلَتْ علينَا مَنازِلَنا، وأمَّا الرَّهْبةُ فإنَّا أمِنَّاها بعدْلِكَ».

قال: فما أنتم؟ قالَ: نحن وَفْدُ الشُّكْرِ!

---

(١) الرَّغْبَةُ: السُّؤال والطَّمع.

(٢) الرَّهبة: الخَوْفُ والفَزَع.

(٣) آمنه: أزال من نَفْسِهِ الخَوْفَ، وجعله يَشْعُرُ بالأمْنِ.

(٤) الصِّلَةُ: الجائزة والهبة والعَطيَّة.

(٥) النظر: الإحسانُ والرَّحمةُ والعَطْفُ.

(٢) خُطَبُ الاسْتِرْفَادِ والاسْتِعْطافِ

١ ـ اسْتِرْفَادُ الأحْنَفِ بنِ قَيْسٍ لمعاويةَ بنِ أبي سُفْيَانَ

البيان والتبيين ٢: ٦٩
و أنساب الأشراف ١٢: ٣٣٥
وزهر الآداب ٢: ٦٤٥
ونهاية الأرب ٧: ٢٣٨
وسرح العيون ص: ١٠٩
واللسان: نبت، ودفف

قَدِمَ وَفْدُ أهْلِ العراقِ على معاوية، وفيهم الأحْنَفُ، فخرجَ الآذنُ فقال: إنَّ أميرَ المؤمنينَ يَعْزِمُ[١] عليكم أنْ لا يَتكلَّمَ أحَدٌ إلاَّ لِنَفْسِه. فلمَّا وَصلوا إليه قال الأحْنَفُ:

« لولا عَزْمَةُ أميرِ المؤمنينَ لأخْبَرْتُهُ أنَّ دَافَّةً دَفَّت[٢]، ونازلةً نَزَلَت[٣]، ونائبةً نابَت[٤]، ونابتةً نَبَتَت[٥]. كلُّهم بهم حاجةٌ إلى مَعْرُوفِ أميرِ المؤمنينَ وبرِّه.

قال: حَسْبُك يا أبا بَحْرٍ! قد كفيتَ الغائبَ والشَّاهدَ»!!

٢ ـ اسْتِرْفادُ الأحْنَفِ بنِ قَيْسٍ التَّمِيميِّ لمعاوية بنِ أبي سُفْيَانَ

زهر الآداب ١: ٥٠

دَخَل الأحنفُ بنُ قيسٍ على معاويةَ وافداً لأهلِ البصرةِ، ودخلَ معه النَّمرُ بن قُطْبَةَ، وعلى النَّمِرِ عباءةٌ قَطَوَانيَّة[٦]، وعلى الأحْنَفِ مِدْرَعَةُ[٧] صوفٍ وشَملة[٨]. فلمَّا مَثَلاَ بينَ يَدَيْ

---

(١) عزم عليه: أمَرَهُ أمْراً جدًّا. وعَزَمَ عليه لَمَّا فعل كذا: بمعنى أقسَمَ.

(٢) دَفَّتْ عليهم دافةٌ: قدمت عليهم جماعة من الأعراب يَدِفُّونَ للنُّجْعَةِ وطلب الرزق، أي: يسيرون جماعةً سيراً ليناً ليس بالشَّديدِ، لأنهم قد أفْحَمُوا، أي: أصابهم قحطٌ، فأخرجهم من البادية وأدْخَلَهم الريفَ والحضَر.

(٣) نازلة نزلت: أي: نزلت بهم شدة من شدائد الدهر.

(٤) نائبة نابت: أي: أصابتهم مصيبة، أو ألَمَّتْ بهم حادثةٌ.

(٥) نابتةٌ نبتت: أي: نشأ فيهم صِغارٌ لَحِقُوا الكبارَ، وصاروا زيادةً في العدد.

(٦) القَطَوانية: نِسْبَة إلى قَطَوان، وهو موضع بالكوفة تعمل فيه الأكسية.

(٧) المدرعة: ثوبٌ، ولا يكون إلاَّ من صوفٍ.

(٨) الشملة: كساء دون القطيفة من صوفٍ أو شعرٍ يُشْتَمل به.

معاويةَ اقتحمَتْهُمَا[١] عينهُ، فقال النَّمِرُ: يا أميرَ المؤمنينَ! إنَّ العباءةَ لا تُكلِّمكَ، وإنما يُكَلمُكَ مَنْ فيها! فأومأَ إليه فجلس. ثم أقبلَ على الأحنفِ فقال: ثم مَهْ؟ فقال:

«يا أميرَ المؤمنينَ، أهلُ البصرةِ عددٌ يسيرٌ، وعَظْمٌ كسيرٌ، مع تتابع من المُحُول[٢]، واتّصال من الذُّحول[٣]، فالمُكْثِر فيها قد أطرق[٤]، والمُقِلُّ قد أَمْلَق[٥]، وبلغ منه الضُّرُّ[٦] المُخَنِّق[٧]. فإنْ رَأَى أميرُ المؤمنينَ أن يَنْعَشَ[٨] الفقيرَ، ويَجْبُرَ[٩] الكسيرَ، ويسهِّلَ العسيرَ، ويَصْفَحَ عن الذُّحول، ويُداوي المُحول، ويأمرُ بالعَطَاء، ليكشفَ البَلاَء، ويُزيل اللَّأواء[١٠]. وإنَّ السيدَ مَنْ يَعُمُّ ولا يَخُصُّ، ومَنْ يدعو الجَفَلى[١١]، ولا يَدْعُو النَّقَرى[١٢]، إنْ أُحْسِنَ إليه شَكَرَ، وإنْ أُسِيءَ إليه غَفَرَ. ثم يكون وراء ذلك لرعيته عِمَاداً يرفع عنها المُلِمَّاتِ[١٣]، ويَكْشِف عنهم المعضلات[١٤]».

فقال له معاويةُ: هاهنا يا أبا بَحْر! ثم تلا: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠].

---

(١) اقتحمته عينه: ازْدَرته واحْتَقَرته.

(٢) المُحُول: جمع محل، وهو القحط والجَدْبُ.

(٣) الذُّحول: جمع ذحل، وهو الثأر.

(٤) أطرق: سكت فلم يَتكلّمْ.

(٥) أملق: افتقر .

(٦) الضُّرُّ: الهزال وسوءُ الحال في البدن.

(٧) يقال: بلغ منه المخَنِّق بالتشديد، أي: موضع الخِنَاق من عنقه، والخناق هو الحبل الذي يخنق به. والمراد اشتدَّ به الفقر حتى كاد يخنقه ويهلكه جوعاً.

(٨) نعش الفقير: تَداركه من هَلَكةٍ وسدَّ فقره.

(٩) جَبَر الكسير: أغناه، من جَبَر اللهُ مُصِيبَتَهُ، أي: ردَّ عليه ما ذَهَب منه أو عَوَّضَهُ عنه، وأصْلُهُ من جَبْرِ الكَسْرِ.

(١٠) اللأواء: الشدة.

(١١) الجَفَلَى: الدعوة العامة.

(١٢) النَّقَرَى: الدعوة الخاصة.

(١٣) المُلِمَّات: جمع مُلِمَّة، وهي النازلة الشديدة من شدائد الدَّهر ونوازل الدنيا.

(١٤) المعضلات: جمع معضلة، وهي الأمر الشديد المشكل.

٣ ـ اسْتِرْفادُ عبدِ العزيزِ بنِ زُرَارةَ الكِلاَبيِّ لمعاويةَ بنِ أبي سُفْيَانَ

العقد ١: ٢٥٤، ٢: ٦٩
وعيون الأخبار ١: ٨٢
وأمالي القالي ١: ١٩٨
وذيل الأمالي والنوادر ص: ٦١
وصبح الأعشى ١: ٢٥٧

وَفَدَ عبدُ العزيزِ بنُ زرارةَ على معاويةَ، وهو سَيِّدُ أهلِ الكوفةِ، فلما أُذِنَ له وَقَفَ بينَ يَدَيْهِ، وقال:

«يا أمير المؤمنينَ، لم أزلْ أهزُّ ذَوائب[١] الرِّحَالِ إليك، إذ لم أجد مُعوَّلاً[٢] إلا عليك، أَمْتَطي اللَّيلَ بعدَ النَّهارِ، وأَسِمُ[٣] المَجاهلَ[٤] بالآثارِ، يَقُودني إليك أَمَلٌ، وتسوقُني بَلْوى. والمجتهدُ يُعذَرُ، وإذْ بَلغْتُكَ فَقَطْني[٥]».

فقال معاوية: احْطُطْ عن راحلتك رَحلَهَا!

٤ ـ اسْتِرْفادُ عبدِ العزيزِ بنِ زُرَارَةَ الكِلابيِّ لمعاويةَ بنِ أبي سُفْيَانَ

البيان والتبيين ٢: ٥٨

لَمَّا وَصَلَ عبدُ العزيزِ بنُ زُرارَةَ إلى معاويةَ قالَ:

«يا أميرَ المؤمنينَ، لم أزل أسْتَدِلُّ بالمعروفِ عليك، وأمْتَطي[٦] النَّهار إليك، فإذا ألوى[٧] بيَ الليلُ قَبَضَ[٨] البصرُ، وعُفي[٩] الأثرُ، أقامَ بَدني وسافَر أملي. والنَّفْسُ تَلُومُ، والاجتهادُ يُعْذَرُ، وإذ بلغتك فقَطني[١٠]»!

---

(١) الذوائب: جمع ذؤابة، وهي الجلدة المعلّقة على آخرة الرحل.
(٢) المُعَوَّلُ: المُعْتَمَدُ والمُتَّكلُ والمُسْتَعانُ.
(٣) أَسِمُ: أُعَلِّمُ.
(٤) المجاهل: جمع مَجْهِلٍ ومَجْهُولة، وهي المفازة لا أعلامَ بها ولا جبال.
(٥) قطني: حَسْبي.
(٦) امْتَطَى النهارَ: اتَّخذه مطيَّةً، أي: رَكِبَهُ وسَارَ فيه.
(٧) ألْوَى به الليل: انْطَوى عليه وشَمِلَهُ وغطّاه.
(٨) قُبِضَ البَصَرُ: ذهب، والمراد انْعَدمتِ الرُّؤية.
(٩) عُفي الأثرُ: انْطَمَس وامّحَى.
(١٠) قَطْني: حَسْبي.

٥ ـ اسْتِرْفَادُ زَيْدِ بن مُنْيَةَ التَّمِيمِيِّ لِعُتْبَةَ بنِ أبي سُفْيَانَ

العقد ١: ٢٥٨، ٢: ٦٨
وصبح الأعشى ١: ٢٥٧

قَدِمَ زيدُ بن مُنْيَة على معاويةَ من البصرة، وهو أخو يَعْلَى بنِ منيَة صاحبِ جملِ عائشةَ، ومتولّي تلكَ الحروبِ، ورأسِ أهلِ البصرةِ، وكان عتبةُ بن أبي سفيانَ قد تزوج ابنةَ يعلى بن مُنْيَة. فلما دخلَ على معاويةَ شكا إليه ديناً لزمه، فقال: يا كعبُ أَعْطِه ثلاثين ألفاً. فلما ولّى قال: وليومِ الجملِ ثلاثين ألفاً أخرى. ثم قال له: الْحَق بصِهْرك، يعني عُتْبَةَ. فَقَدِم عليه مصر، فقال:

«إني سرت إليكَ شهرين أخُوضُ فيهما المَتَالِفَ[١]، ألبَس أَرْدِيةَ الليل مرةً، وأخُوضُ في لُجَجِ[٢] السَّراب أخرى، مُوقَراً[٣] من حُسْن الظن بك، وهارباً مِنْ دهرٍ قَطِمٍ[٤]، ودَيْنٍ لزِمٍ[٥]، بعد غِنَى جَدَعْنا[٦] به أنوفَ الحاسدين، فلم أجدْ إلاّ إليك مَهْرَباً، وعليك مُعَوَّلاً» .

فقال عتبةُ: مرحباً بك وأهلاً، إنَّ الدهر أعاركم غِنًى، وخلَطكم بنا. ثم استردَّ ما أمكنه أخذُهُ، وقد أبقى لكم منا ما لا ضَيْقَةَ[٧] معه، وأنا واضعٌ يدي ويدك بيد الله. فأعطاه ستين ألفاً كما أعطاه معاوية.

٦ ـ اسْتِرْفَادُ قَوْمٍ من بني أُمَيَّةَ لعبدِ المَلِكِ بنِ مَرْوَانَ

العقد ١: ٢٥٤

قَدِمَ قومٌ من بني أُميَّة على عبدِ المَلِكِ بنِ مَرْوانَ، فقالوا:

«يا أميرَ المؤمنينَ، نحنُ ممنْ تَعْرِفُ، وحقُّنا ما لا يُنْكرُ، وجِئْناكَ من بعيدٍ، ونَمُتُّ بقَريبٍ[٨]، ومهما تُعطنا فنحنُ أهْلُهُ».

---

(١) المتالف: المهالك.

(٢) اللجج: جمع لجة، وهي معظم السراب.

(٣) الموقر: المُحَمَّل المُزَوَّد.

(٤) القطم: العضوض، من قَطَم الشيءَ إذا عَضَّه بأطراف أسنانه.

(٥) لزم: حان قضاؤه، ووجب أداؤه.

(٦) جدع: قطع.

(٧) الضَّيْقة: الفَقْرُ وسُوءُ الحال. ويروى «ضَيْعة»؛ من الضَّياع، أي: الإهمال والاطِّراحُ والهَوَان.

(٨) مَتَّ إليه بقرابة: أي: تَوَصَّل إليه وتَوَسَّلَ.

٧ ـ اسْتِرْفادُ رجلٍ من وَلَدِ عمرَ بنِ الخَطَّابِ لعبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ

أنساب الأشراف ٧: ٢٤٦

«حَجَّ عبدُ الملكِ، فَلقيَهُ رجلٌ من ولدِ عمرَ، قد نَالتْهُ ولادةٌ[١] من أبي بكرٍ، فسألَهُ فَحَرمَهُ، وقال مُتَمثِّلاً[٢]:

وَمَنْ لا يَذُدْ عن حَوْضهِ بِسلاَحهِ يُهَدَّمْ

فقالَ الرجلُ: إذا ذُدْتَ[٣] عن حَوْضِكَ ابنَ الفاروقِ، وابنَ الصِّدِّيقِ فمن تُورِدُهُ[٤]؟ قالَ: بَني عبدِ مَنافٍ[٥] »!

٨ ـ اسْتِرْفادُ الحارثِ بنِ خالدِ بنِ العاصِ المخزوميِّ لعبدِ المَلكِ بنِ مَرْوانَ

أنساب الأشراف ٧: ٢٢٩

«قَدِمَ الحارثُ بنُ خالدِ بنِ العاصِ بنِ هشامِ بنِ المغيرةِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ بنِ مخزومٍ الشاعرُ على عبدِ الملك، فلم يَصِلْهُ[٦]. ويقال: إنَّه أقام ببابه شهراً لا يأذنُ له، فانْصَرَفَ وهو يقولُ[٧]:

---

(١) نَالَتْهُ ولادةٌ من أبي بكرٍ: لعل المرادَ أنه وُلِدَ عندَ أبي بكرٍ، ونَشَأَ مع أوْلاَدِهِ، وتأدَّبَ بآدابهم.

(٢) ما تَمَثَّلَ به من بَيْتٍ لِزُهَيْرِ بنِ أبي سُلْمَى من مُعَلَّقتِهِ المشهورة، وهو قَوْلُهُ:

وَمَنْ لا يَذُدْ عن حَوْضِهِ بسلاحِهِ
يُهَدَّمْ وَمَنْ لا يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَمِ

(شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ص: ٣٠).

(٣) ذادَهُ عن الحَوْضِ: صَدَّه عنه ومَنَعَهُ من وِرْدِهِ.

(٤) أوْرَدَهُ الحوض: جَعَلَهُ يَرِدُهُ، أي: أحْضَرَهُ إياه لِيَشْرَبَ منه.

(٥) بني عبد مناف بن قُصَيِّ بن كلابٍ: هم هاشم والمُطَّلبُ وعبدُ شَمْسٍ ونَوْفَلٌ. (جمهرة أنساب العرب ص: ١٤).

(٦) وَصَلَهُ: أعطاه مالاً.

(٧) انظر مفاضلة بين غزله وغزل عمر بن أبي ربيعة في أمالي القالي ٢: ١٥.

تَبِعْتُــكَ إذ عَيْــنِي عَلَيْهَــا غِشــاوةٌ[١] فلما انْجَلَتْ[٢] قطَّعْتُ نفســي أَلُومها[٣]
فما بِيَ إن أَقْصَيْتَنِي[٤] من ضَراعــةٍ[٥] ولا افْتَقَرَتْ[٦] نَفْسي إلى مَنْ يَسُــومُها[٧]
عَطَفْتُ[٨] عليكَ النَّفْسَ حتّــى كأنّمــا بِكَفَّيْكَ بُؤْسي[٩] أو لديك نَعِيمُهــا[١٠]

فَبَلَغهُ ذلك. فأرسلَ إليه فَردَّهُ، فقال: يا حارثُ، أترَى على نَفْسِكَ غَضَاضةً[١١] في وقوفِك ببابي؟ فقالَ: لا، وا لله. ولكنْ طَالَتْ غَيْبَتي، وانْكَسَرَتْ ضَيْعَتي[١٢]، وَوَجَدْتُ فَضْلاً من قَوْلٍ فَقُلْتُ. وعليَّ دينٌ، فقالَ: وكم دَيْنُكَ؟ قال: ثلاثون ألفاً. قال: أقَضَاءُ دَيْنِك أحبُّ إليك، أم ولايةُ مَكَّةَ؟ قالَ: ولايةُ مكةَ. فولاَّهُ إياها، فَبَعَثتْ عائشةُ بنتُ طلحةَ بن عُبَيْدِ ا لله بن الحارثِ، وهي بمكةَ، وقد أُقِيمَتْ ذاتَ يومِ الصَّلاةُ، وهي تَطوفُ: إنِّي لم أَقْضِ طَوافي[١٣]. فَتوقَّفَ بالناسِ حتى فَرَغَتْ من طَوافِها، ثم صَلَّى. فبلغَ ذلك عبدَ الملك فَعَزَلَهُ، وقال: إني لم أَسْتَعْمِلْكَ لِتَنْتَظِرَ بالناسِ في صَلاتِهم طَوافَ عَائِشَةَ»!

---

(١) الغِشاوة: الغطاء.

(٢) انجلت: ذَهَبتْ وزَالَتْ، أي انْقَشَعَتْ وانْكَشَفَتْ.

(٣) قَطَّعتُ نَفْسي ألومُها: فَرَّقْتُها فِرَقاً أو مَزَّقْتُها مِزَقاً من شدة عَذْلي لها. والمرادُ أنَّ نَفْسَهُ تكسَّرت وتَحطَّمَتْ لِفرْطِ لَمه ونَدَمِهِ ولَوْمِهِ لها على اغْتِرارِها بعبدِ الملك وانخِداعِها به.

(٤) أقصاه: نَحَّاه وأبْعَدَهُ.

(٥) الضراعة: الاسْتِكانةُ والخشوع، والذِّلةُ والخُضُوعُ.

(٦) افْتَقَرَتْ: احتاجت.

(٧) سامه الأمر: كَلَّفَه إيَّاه وجَشَّمهُ إياه. وسَامَهُ الخَسْفَ: أوْلاَه إيَّاه وأرَادَهُ عليه.

(٨) عَطَفَ نفسَهُ عليه: ثناها عليه وأمَالَها إليه.

(٩) البؤس: الشِّدَّةُ والفقر والحاجة.

(١٠) النَّعيم: الخَفْضُ والدَّعَةُ والمال.

(١١) ما عليك بهذا غَضَاضَةٌ: أي: نَقْصٌ ولا انْكِسَارٌ ولا ذُلٌّ.

(١٢) انكسرت ضَيْعَتُهُ: خَسِرَتْ، أي: خَسِرَ فيها و لم يَرْبَحْ.

(١٣) قَضَى طَوافَهُ: أتَمَّهُ وأكْمَلَهُ.

٩ـ اسْتِرْفَادُ أبي الرَّيَّانِ لعبدِ المَلِكِ بنِ مَرْوَانَ

العقد ١: ٢٥٤

وعيون الأخبار ٣: ١٢٨

دَخَلَ أبو الرَّيَّانِ على عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ، وكان عندَهُ أسيراً، فرآه خاثراً[١]، فقالَ: يا أبا الرَّيَّانِ، مَالَكَ خاثِراً؟ قال:

«أَشْكُو إليكَ الشَّرفَ يا أميرَ المؤمنينَ. قال: وكيفَ ذلك؟ قال: نُسألُ ما لا نَقْدِرُ عليه، ونَعْتَذِرُ فلا نُعْذَرُ»!

قال عبد الملكُ: ما أحسنَ ما استَمْنَحْتَ، واعْتَرَرْتَ[٢] يا أبا الرَّيان! أعطوه كذا وكذا.

١٠ـ اسْتِرْفَادُ رجلٍ من تميمٍ لعبدِ الملكِ بنِ مَرْوَانَ

أنساب الأشراف ٧: ٢٦٦

«دَخَلَ رجلٌ من بني تميمٍ على عبدِ الملك، فقالَ: يا أميرَ المؤمنينَ، إنَّ لي بلاءً[٣]، أُصيبتْ عَيْني يومَ الدَّارِ، فَوَصَلَهُ».

١١ ـ اسْتِرْفادُ أعْرابيٍّ لعبدِ المَلِكِ بنِ مَرْوانَ

أنساب الأشراف ٧: ٢٠٧

«دَخَلَ أعْرابيٌّ على عبدِ المَلِكِ فسألَهُ، فقالَ: إنَّ علينَا في مَالِنا حُقُوقاً هي أوْجَبُ من حَقِّكَ! فقال: وا للهِ لو كُنْتُ مِثْلَكَ ما مَنَعْتُ راغباً[٤]. فقالَ: أعْطُوهُ. فأبَى قَبولَ عطِيَّتِهِ، وَخَرَجَ. فقيلَ له: لم امْتَنَعْتَ من قَبولِ صِلَتِهِ[٥]؟ فقال: إنَّ يَدَ[٦] البَخِيلِ ثَقيلةٌ[٧]»!

---

(١) خثرت نفسه: غثَتْ وثَقُلَتْ، والخاثر: الثقيل النَّفْسِ غير الطَّيِّبِ ولا النشيط.

(٢) اعْتَرَّهُ: أتاه يَطْلُبُ مَعْرُوفَهُ.

(٣) أبْلَى فلانٌ: إذا اجْتَهَد في صفةِ حَرْبٍ أو كَرَمٍ. وأبلى في الحرب بلاءً حَسناً: إذا أظهرَ بأسَهُ حتى بلاهُ الناسُ وخَبَرُوه.

(٤) الرَّاغب: السائل.

(٥) الصِّلَةُ: العَطِيَّةُ والجائزة.

(٦) اليَدُ: المَعْرُوفُ والصَّنيعةُ والعَطِيَّة.

(٧) ثَقيلةٌ: سَمِجَةٌ مَمْجُوجَةٌ، تَعافُهَا النَّفْسُ وتَأْباها، ولا تَسْتَسيغُهَا ولا تَسْتَطِيبُها.

١٢ ـ اسْتِرْفَادُ رجلٍ لعبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ

أنساب الأشراف ٧: ٢٢٥

«سألَ رَجُلٌ عبدَ الملكِ فألَحَّ عليه، وألْحَفَ في المسألةِ. فقالَ عبدُ الملكِ: قد ألْحَفْتَ[١] في المسألةِ! فقال: إنّك وا للهِ يا أميرَ المؤمنينَ لَتَرُدُّ السَّائِلَ المُلِحَّ بالمَنْعِ المُصَرَّحِ[٢]»!

١٣ ـ اسْتِرْفَادُ مَخْزُوميٍّ للوليدِ بنِ عبدِ المَلكِ

أنساب الأشراف ٨: ٨٠

و تاريخ الرسل والملوك ٦: ٤٩٦

والعقد ٤: ٤٢٦

«أتَى الوليدَ رجلٌ من بني مَخْزُومٍ يسأله في دَيْنِهِ. فقالَ: نعم، إنْ كنتَ مُسْتَحِقاً لذلك. قال: يا أمير المؤمنين، وكيفَ لا أكون مُستحقاً لذلك مع قَرابتي؟ قال: أقرأتَ القرآنَ؟. قال: لا. قال: ادْنُ، فَدَنا منه، فَنَزَع عِمامَتَهُ بقضيبٍ كان في يده، وقَرَعَهُ[٣] بالقضيبِ قَرَعاتٍ. ثم قالَ لرجلٍ: ضُمَّ إليكَ هذا فلا يُفارِقْكَ حتى يَقْرأَ القرآنَ!

ثم قامَ إليه بعضُ ولدِ خالدِ بنِ عبدِ الله بنِ خالدِ بن أَسيدٍ، فقال: يا أميرَ المؤمنينَ، إنَّ عليَّ دَيْناً. فقال: أقرأتَ القرآنَ؟ قال: نعم. فاسْتَقْرأَهُ عشرَ آياتٍ من الأنفالِ، وعَشْراً من براءةَ. فقال: نعم، نَقْضي[٤] دَيْنَكُمْ، ونَصِلُ أرْحامَكم[٥] على هذا»!

---

(١) ألْحَفَ: ألَحَّ. وألْحَفَ السائلُ: شَمِلَ بسؤالِهِ وهو مُسْتَغْنٍ عنه. وألْحفَ ظُفْرَهُ وأَحْفَاهُ: اسْتَأصَلَهُ بالمَقَصِّ، ويجوزُ أنْ يكونَ إلحافُ السائلِ منه. (أساس البلاغة: لحف).

(٢) المُصَرَّح: المُنْكشفُ المُعْلَنُ البَيِّنُ. يقال: صَرَّحَ الشيءَ إذا بَيَّنَهُ وأظْهَرَهُ.

(٣) قَرَعَهُ: ضَرَبَهُ.

(٤) قَضَى دَيْنَهُ: أدَّاه عنه.

(٥) وَصَلَ رَحِمَهُ: بَرَّهُ. وقد تكرَّرَ في الحديث ذِكرُ صِلَةِ الرَّحِمِ، قال ابن الأثير: «وهي كنايةٌ عن الإحسان إلى الأقْرَبِينَ من ذوي النَّسَب والأصْهارِ، والعَطْفِ عليهم، والرِّفقِ بهم، والرِّعاية لأحْوالهم، وكذلك إنْ بَعُدُوا أو أساؤوا. وقَطْعُ الرَّحِمِ ضِدُّ ذلك كله». (اللسان: وَصل).

١٤ـ اسْتِرْفَادُ يزيدَ بنِ المُهَلَّبِ لسليمانَ بنِ عبدِ المَلِكِ

عيون الأخبار ٣: ١٣٠

قال يزيدُ بنُ المُهَلَّبِ لسليمانَ بنِ عبدِ المَلِك في حَمالةٍ[١] كَلَّمَهُ فيها:

«يا أميرَ المؤمنينَ، وا للهِ لحَمدُها خيرٌ منها، ولَذِكرُها أحسنُ من جَمْعِها، ويَدِي مَبْسُوطةٌ[٢] بيدِك، فابسُطْها لِسؤالها».

١٥ـ اسْتِرْفادُ أبي السَّمَّالِ العَدَويِّ لسُلَيْمانَ بنِ عبدِ الملكِ

أنساب الأشراف ٨: ١٠٥، ١٠٦

«تَقَدَّمَ أبو السَّمَّال[٣] إلى سليمانَ بنِ عبدِ المَلكِ، فقالَ: إنَّ أبينَا هَلَكَ، فَوَثَبَ[٤] أخانَا على مَالِنا، فأَخذَه، فانظُرْ[٥] في أمْرِنا. فقالَ سليمانُ: لا رَحِمَ اللهُ أباكَ، ولا عَافَى أخَاكَ، ولا ردَّ عليك مَالَكَ! نَحُّوهُ عني»!!

١٦ ـ اسْتِرْفَادُ عَنْبَسةَ بنِ سعيدِ بنِ العَاصِ لعمرَ بنِ عبدِ العَزيزِ

أنساب الأشراف ٨: ١٨٣

«دَخَلَ عَنْبَسةُ بنُ سعيدِ بنِ العاصِ بن أبي أُحَيْحَةَ على عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ، فسألهُ حَوائجَ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ سِراجٌ، يكادُ يُطفأ مرةً ثم يُضيءُ مرةً، وفي ناحيةِ الدَّارِ كتَّابٌ يكتبونَ، وبينَ أيديهم شَمْعٌ، فقال: يا أميرَ المؤمنينَ، لو أمرتَ بشمعةٍ، فَوُضِعَتْ بينَ يَدَيْكَ! قال: ذاكَ للمسلمينَ تُكتَبُ به حَوائِجُهم، وهذا لي وهوَ يجزيني[٦]. ثم قالَ لِعَنْبسَةَ: يا أبا خالدٍ، ألك حاجةٌ؟ فسألَهُ مَعُونَةً وزيادةً في عطائهِ. فقال: يا عنبسةَ إنْ

(١) الحمالة: ما يَتحمَّله الإنسانُ عن غيره من دية أو غرامة.

(٢) مبسوطة: مَمْدُودة غير مقبوضةٍ.

(٣) أبو السَّمَّال العَدَويُّ: رَجُلٌ من الأعْرَابِ.

(٤) وَثَبَ على مَالِهِ: استَوْلَى عليه.

(٥) نَظَرَ في أمْرِه: اهْتَمَّ به وأحْسَنَ إليه.

(٦) أجْزاهُ الشيءُ: كَفَاهُ وأغناه.

كنتَ غارماً[١] قضينا عنك، وإنْ كنت مُحتاجاً أعْطَيْنَاك ما يُقيمُكَ[٢] ويُصْلِحُكَ. انظرْ مِنْ أينَ جَمَعْتَ مالَك، فإنْ كانَ حَراماً فارْفُضْهُ، وانظرْ لِنَفْسِكَ قبلَ يَوْمٍ يَتمنّى فيهِ المُفَرِّطُ[٣] الرَّجْعَةَ[٤]»!

١٧ـ اسْتِرْفَادُ إسماعيلَ بنِ عبدِ اللهِ الأنْصَاريِّ لِعُمرَ بنِ عبدِ العَزيزِ

أنساب الأشراف ٨: ١٨١

«سألَ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ إسماعيلُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ أبي طَلْحَةَ الأنصاريُّ حوائجَ، فقال: ألم آمركُمْ أنْ تَلْحَقُوا بأمْصَاركم؟ لستُ قاضياً لك حاجةً حتى تلحقَ بمصْرِك، ودفع عنه[٥]! فقال: وا لله ما كُنّا نُدفعُ هذا المَدْفَعَ عن محمدٍ ﷺ. فوجمَ[٦] عمرُ ساعةً، وتَغرْغَرَتْ[٧] عينُهُ، ثم قَضَى حَوائِجَهُ».

١٨ـ اسْتِرْفَادُ رَجُلٍ لِعُمرَ بنِ عبدِ العَزيزِ

أنساب الأشراف ٨: ١٨٠

«أتى عُمَرَ رجلٌ، فقال: يا أميرَ المؤمنينَ، جاءت بي الحاجَة، ونزعتْ[٨] بي إليك الفاقةُ[٩]، فانتهيتُ منك إلى الغايةِ، وا لله سائلُكَ عن مقامي على عيالٍ قد أعْيَيْتُهم[١٠] وأعْيُوني.

---

(١) الغارم: الذي لَزِمَهُ دينٌ في حَمالةٍ، أو لَزِمَهُ دينٌ في غير مَعْصيةٍ.

(٢) أعْطَاهُ ما يُقيمُه: أي: ما يَسُدُّ رَمَقَهُ ويُمْسِكُ عليه الحياة، من قِوَام العيش، وهو عِمادُهُ الذي يقوم به، وقوامِ المحتاجِ، هو ما يقوم بحاجته الضرورية.

(٣) المُفَرِّط: المُضَيِّعُ. وفَرَّطَ في جَنْبِ الله: تَرَكَ ما عنده وضَيَّعَهُ ولم يَعْملَ له.

(٤) الرَّجعة: أنْ يحيا مرةً أخرى ليعملَ صَالحاً.

(٥) دَفَعَ عنه: أعْرَضَ عنه ولم يلتفتْ إليه.

(٦) وَجَمَ: اشتدَّ حُزْنُهُ حتى أمْسَكَ عن الكلام.

(٧) تَغَرْغَرتْ عَيْنُهُ: تَرَدَّدَ فيها الدَّمْعُ.

(٨) نَزَعَ به إليه: جَذَبه وأمَالَهُ، والمراد قَادَهُ إليه وساقه.

(٩) الفاقة: الفَقْرُ والحاجة.

(١٠) أعياه الأمرُ: أعْجَزَهُ وأشْكلَ عليه ولم يُطِقْ إحْكَامَهُ.

فقال: كيف أعييتَهم؟ قال: أعييتُهم أنْ أُكْسِبَهم[١] غِنىً، وأعيوني أن يَمُوتوا. فأَلْحَقَ[٢] له عيالَهُ وأعطاهُ نَفَقَتَهُ[٣]. ويقال ألحَقَ له شطرَ[٤] عِيالِهِ».

١٩ ـ اسْتِرْفَادُ عُرْوَةَ بنِ أُذَيْنَةَ اللَّيْثيِّ لهشامِ بنِ عبدِ المَلِكِ

أنساب الأشراف ٨: ٤١٧
والشعر والشعراء ٢: ٥٧٩
والعقد ٣: ٢٠٥
والأغاني ١٨: ٣٢٤
والمؤتلف والمختلف ص: ٦٩
ووفيات الأعيان ٢: ٣٩٥
وفوات الوفيات ٢: ٤٥١

«قَدِمَ عروةُ بنُ أُذَيْنَةَ اللَّيْثيُّ على هشامٍ، فسألَهُ: ألستَ القائلَ:

لقدْ عَلِمْتُ وما الإسرافُ[٥] من خُلُقي[٦] أنَّ الـذي هـو رزْقـي سَـوْفَ يَـأْتيني
أسْـعَى لـه فَيُعَنِّيـني[٧] تَطَلُّبُـهُ[٨] ولـو صَـبَرْتُ أتَـاني لا يُعَنِّـيـني

وإنّي لأحْسبُكَ ممن يفْضُلُ قولُهُ فِعْلَهُ! فقالَ عروةُ: فإني أستغفرُ الله، وأسْتَقِيلُه[٩]، ولا أرغبُ إلاَّ إليه[١٠]. فخرجَ من عندِهِ، ولم يَبِتْ إلاَّ في الطريقِ مُنْصَرِفاً إلى أهلِهِ.

---

(١) يقال: كَسَبْتُ زَيْداً مالاً وأكْسَبْتُهُ؛ أي: أعَنْتُهُ على كَسْبِهِ، أو جَعَلْتُهُ يَكْسِبُهُ، أي: يُصِيبُهُ ويُحَصِّلُه.

(٢) ألْحَقَ عيالَهُ: أضافَهم إلى الدِّيوان وفَرَضَ لهم في العطاء.

(٣) النَّفَقَةُ: ما تُنفِقُ من الدَّراهم ونحوها على نَفْسِكَ وعلى العيال. والمرادُ هاهنا ما يقوم بأمْرِهِ ويَسُدُّ حَاجَتَهُ في السفر.

(٤) الشَّطْرُ: النِّصْفُ.

(٥) الإسراف: التبذيرُ في النَّفقة ومجاوزةُ القصد. ورُوِيَ: وما الإشراف، بالشين. (اللسان: شرف). والإشراف: الحِرْصُ. والتَّشرُّف للشيء: التَّطلع والنَّظرُ إليه وحديثُ النفْسِ وتوقُّعُه. وأشرَفَتْ نفسُهُ على الشيء: حَرَصَتْ عليه وتهالكت. وفي الحديث: «وأنتَ غيرُ مُشْرِفٍ له»، يعني المال، أي: وأنت غير مُتَطَلِّع إليه ولا طامعٍ فيه.

(٦) الخُلُق: الطبيعة والسَّجِيَّة.

(٧) عَنَّاه الأمر: أتْعَبَهُ وأرْهَقَهُ وأجْهَدَهُ.

(٨) الطَّلَبُ: محاولةُ وِجْدَانِ الشيءِ وأخذِهِ. والتَّطَلُّب: طَلَبُهُ مرةً بعد أخرى.

(٩) اسْتَقَالَهُ: طَلَبَ إليه أنْ يُقِيلَهُ، أي: أنْ يَصْفَحَ عنه.

(١٠) رَغِبَ إليه في الشيء: سأله إيَّاه.

وتَذَمَّمَ[١] هشامٌ مما استقبَلهُ[٢] به حينَ بَلَغهُ انْصِرَافُهُ، فَبعثَ إليه بألفِ دينارٍ. فلمَّا أتاهُ بها رَسُولُهُ قال: أَقْرِئْ أميرَ المؤمنينَ السلامَ[٣]، وقلْ له: إني رَضِيتُ بالله، ورغبتُ إليه، فأتاني برزقي على فِرَاشي! فقالَ هشامٌ: صَدَق، إنّما نحنُ خُزَّانُ الله، فإذا أَذِنَ في شيءٍ أمضيناه[٤] على مَحبَّةٍ منا وكرامةٍ[٥] ».

٢٠ـ اسْتِرْفادُ إسْماعيلَ بنِ محمدِ بنِ أبي الجَهْمِ العَدَوِيِّ لهشامِ بنِ عبدِ المَلِكِ

أنساب الأشراف ٨: ٣٩٤، ٣٩٩

والعقد ٤: ٤٤٩

وأمالي القالي ١: ١٤٧

وصبح الأعشى ١: ٢٦٤

«وَفَدَ على هشامِ بنِ عبدِ المَلكِ وفدٌ كلُّهم من قريشٍ، وكلُّهم خطيبٌ، فتكلَّموا. ثم قالَ إسماعيلُ بنُ محمدِ بنِ أبي الجَهْمِ بن حُذَيفةَ العَدويُّ أو غيرُهُ من وَلد أبي الجَهْمِ: يا أميرَ المؤمنينَ، هذه خُطباءُ قريشٍ قد نَطَقَتْ فأطْنَبَتْ[٦]، وتكلَّمتْ فأسْهَبَتْ[٧]، فوالله ما بَلغَ مُتكلِّمُهُمْ قَدْرَكَ[٨]، ولا جاوزَ أبْلَغُهُمْ فَضْلَكَ[٩]، أَفأُوجزُ أم أُطِيلُ؟. قال: بل أَوْجِزْ. قال: تَولاَّكَ[١٠] الله

---

(١) تَذَمَّمَ: اسْتَنْكَفَ واسْتَحْيَا.

(٢) اسْتَقْبَلَهُ به: لَقِيَهُ به.

(٣) يقال: أَقْرِئْ فلاناً السلامَ، واقْرَأْ عليه السلام، واقْرَأْ سَلامي على فلان، ولا يقال: أَقْرَئْهُ مني السلام. ومعنى قَرَأَ عليه السلامَ أو أَقْرَأه إياه: أَبْلَغَه، كأنه حين يُبلِغُهُ سَلامَهُ يَحْمِلُهُ على أن يقرأَ السَّلامَ ويَرُدَّه.

(٤) أَمْضَى الشيءَ: أَنْفَذَهُ.

(٥) يقال: أَفْعَلُ ذلك وكرامةً لك، ويقال: نعم، وحبًّا وكرامةً، أي: إكراماً لك، أو أُكْرِمُكَ إكراماً. ويقال: لا أَفْعَلُ ذلك ولا حُبًّا ولا كَرامةً، أي: لا أُظْهِرُ فِعْلَهُ.

(٦) أَطْنَبَ في الكلام: بالغ فيه. والإطناب: المبالغة في مَدْحٍ أوْ ذمٍّ، والإكثار فيه.

(٧) أَسْهَبَ الرَّجُلُ: أكثرَ الكلام.

(٨) القَدْرُ: المنزلة.

(٩) الفضل: الشرفُ والرِّفْعَةُ.

(١٠) يقال: تَولاَّكَ الله، أي: وَلِيَكَ، ويكونُ بمعنى نَصَرَكَ الله.

يا أميرَ المؤمنينَ بالحُسْنَى، وزيَّنَـك بـالتَّقْوَى، ويَسَّـرَكَ[١] لليُسْـرَى[٢]، وجَمَـعَ لـك خَيْرَ الآخـرةِ والأُولى. إنَّ لي يا أميرَ المؤمنينَ حَوائجَ[٣] أفأذكرها؟ قال: نَعَمْ. قال: كَبِرَتْ سِنِّي، وكَـثُرَ عِيَـالي، فإنْ رأى أميرُ المؤمنينَ أنْ يَصِلَنِي[٤] بصلةٍ[٥] يَجْبُرُ[٦] بها كَسْرِي، ويَنْفِي[٧] بها فَقْري فَعَلَ. قـالَ: وما صِلَتُكَ التي تَفْعَلُ بكَ هذا الذي ذَكَرْتَ؟ قال: ألفُ دينارٍ، وألفُ دينارٍ، وألفُ دينارٍ. قـال: هَيْهَاتَ! هَيْهَاتَ! رُمْتَ[٨] مراماً[٩] صعباً[١٠]، هذا وا للهِ ما لا يَحْتَمِله[١١] بيتُ مالِ المسلمينَ.

ثم نَكَسَ[١٢] هشامٌ، وإسماعيلُ ماثلٌ[١٣] بينَ يَدَيْهِ، فَرَفَعَ رأسَهُ ثم قال: هَيْهِ[١٤]. قالَ: وما هَيْهِ يا أميرَ المؤمنينَ! كأنَّك آليتَ ألاَّ تقْضِيَ لي حاجـةً في مَقْدَمـي هـذا! أَمَـا وا للهِ إنَّ الأمرَ لواحدٌ، إلاَّ أنَّ ا للهَ آثرَكَ[١٥] بهذا المجلسِ، فإنْ تُعْطِنِي فَحَقِّي أعطيتَ، وإنْ تَمْنَعْنـي فإنيٌ أَسَلُ ا للهَ الذي بيدهِ ما حَوَيْتَ[١٦]. فإنَّ ا لله جعلَ العَطِيَّة مَحبَّـةً والمنـعَ مَبْغَضَـةً[١٧]،

(١) يَسَّرَه للأمر: وفَّقَهُ له.

(٢) اليُسْرَى: السُّهولة والسَّعَةُ والغِنَى.

(٣) الحوائج: جمع حاجةٍ، وهي الإرْبَةُ والمأرَبَةُ، أي: ما تحتاج إليه وتطلبه.

(٤) وَصَلَهُ: أعْطَاهُ مالاً.

(٥) الصِّلَةُ: العَطِيَّةُ والجائزةُ.

(٦) جَبَرَ كَسْرَهُ: أغناه بعدَ فقرٍ.

(٧) نَفَى فَقْرَهُ: أزالَهُ وأذْهَبَهُ.

(٨) رام: طلبَ.

(٩) المرام: المَطْلَبُ.

(١٠) الصَّعب: العسيرُ البعيدُ المنال.

(١١) لا يحتمله: يَضيقُ عنه ولا يَتَّسِعُ له، أو يَعْجزُ عنه ولا يَقُومُ به.

(١٢) نكَسَ رأسَهُ ونكَّسَه: أمَالَهُ وطَأطأه.

(١٣) الماثل: القائم.

(١٤) هيهِ وهِيهَ بالكسر والفتح في موضع إيهِ وإيهَ، أبْدِلَت الهمزةُ هاء. وإيهِ اسمٌ سُمِّي به الفِعْلُ، ومعناه الأمـرُ، تقـولُ للرجل: إيهِ بغير تنوين إذا استَزَدْتَهُ من الحديثِ المَعْهُودِ بينكما، فإن نَوَّنْتَ استزدْتَهُ من حديثٍ ما غيرِ معهـودٍ، لأنَّ التنوينَ للتنكير، فإذا سَكَتَّـهُ وكففْتَهُ قلت: إيهاً بالنصب. (اللسان: هيه).

(١٥) آثره: قَدَّمه وفَضَّله.

(١٦) حَوَى الشيء واحْتَواهُ واحْتَوَى عليه: جمعه وأحْرَزَهُ.

(١٧) البِغْضَة والمَبْغَضَةُ والبَغْضاء: المَقْتُ والكَراهية.

ووا اللهِ لأَنْ أُحِبُّك أحبُّ إليَّ من أنْ أُبْغِضَكَ. قال: فألفُ دينارٍ لماذا؟ قال: أقْضي بها ديناً، فَدَحني[١] حَمْلُهُ، وأَضرَّ[٢] بي أهلُهُ. قال: نِعْمَ المَسْلَكُ أسْلَكْتَها تُؤدِّي[٣] حقاً، وتَضَعُ[٤] عنك ثِقْلاً، أو قال تُؤدِّي عن أَمانَتِك، وتَحُطُّ حِمْلاً ثقيلاً عن ظَهْرِك. وألفٌ لماذا؟ قال: أُزَوِّجُ بها من أدْرَكَ من وَلَدي. قال: تَغُضُّ بَصَراً[٥]، وتُعِفُّ فَرْجاً[٦]، وتَرْجُو نَسْلاً، نعْمَ المَسْلَكُ أسْلَكْتَها. وألفٌ لماذا؟ قال أشْتَري بها أرْضاً يكونُ فَضْلُها[٧] لِنَفقتي[٨] في حياتي، وتَبْقَى عُقْدةً[٩] لعقبي. قال: فإنَّا قد أمَرْنا لكَ بما سألت. قالَ: المحمودُ على ذلك ا للهُ. فلمَّا ولَّى قال هشامٌ: إذَا كان القُرشيُّ فليكنْ مثلَ هذا. ثم قال هشام: أمَا وا للهِ ما نُعْطي تبذيراً، ولا نَمْنَعُ تَقْتِيراً[١٠]، وإنَّما نحن خُزّانُ ا للهِ على بِلاَدِهِ، وأمناؤُهُ على عِبادِهِ، فإذا شَاءَ أَعْطَيْنَا، وإذا مَنَعَ أَبَيْنَا[١١]، ولو كانَ كلُّ قائلٍ يَصْدُق، وكل سائل يَسْتَحِقُّ ما جَبَهْنَا[١٢] قائلاً، ولا رَدَدْنَا سائلاً[١٣] ».

---

(١) فَدَحَهُ حَمْلُهُ: أثْقَلَهُ.

(٢) أضرَّ به: أرْهَقَهُ وَحَمَّلَهُ ما لا يُطيقُ وأعْجَلَهُ.

(٣) أدَّى الحقَّ: قَضَاهُ وأوْفَى به.

(٤) وَضَعَ الثِقْلَ: حَطَّه وحَدَرَهُ.

(٥) أغَضَّ بَصَرَ فلان: جَعَلَهُ يَكُفُّهُ ويَخْفِضُهُ ويَكْسِرُهُ.

(٦) أعَفَّ فَرْجَهُ: حَصَّنَهُ.

(٧) الفَضْلُ: مَصْدَرٌ بمعنى الفَضْلَةِ، وجمعُها فَواضِلُ، وفَواضِلُ المالِ: ما يأتيكَ من مَرافِقِهِ وغَلَّتِهِ، يقال: فلانٌ تأتيه فَواضِلُ مالِهِ، ولَهُ مالٌ كثيرُ الفواضلِ، وهي مَرافِقُهُ وغَلَّته من رَيْع ضياعِهِ وأرباحِ تجارَاتِهِ وألبانِ مَاشِيَتِهِ وأصْوافِها وغير ذلك. والمرادُ دَخْلُ الأرض.

(٨) النَّفَقَةُ: ما تنفِقُهُ من الدَّراهم ونَحْوها على نَفْسِك وعلى العيال.

(٩) العُقْدة: الضَّيْعة، يقال: اعْتَقَدَ فلانٌ عُقْدَةً إذا اشترى ضَيعةً أو اتَّخذ مالاً من عَقارٍ وغيره.

(١٠) التقتير: التضييق.

(١١) أبى: امْتَنع.

(١٢) جَبَهَ القائلَ: لقِيَهُ بما يَكْرَهُ، واسْتَقْبَلَهُ بالمَكْرُوهِ.

(١٣) رَدَّ السَّائل: حَرَمَهُ ومَنَعَهُ.

٢١ـ اسْتِرْفَادُ قِرْواشِ بنِ حَبيبٍ لهشامِ بنِ عبدِ المَلِكِ

أنساب الأشراف ٨: ٣٩٢

«دخل قِرْواشُ بنُ حبيبٍ على هشامٍ في غُمارِ[١] الناسِ، فقال: إنا أنْضَاءُ[٢] سَفرٍ، وفَلُّ سَنةٍ[٣]. وعِنْدَكُمْ أموالٌ، فإن تكنْ للهِ فَبُثُّوها[٤] في عبادِ الله، وإنْ تكنْ لهم فعلامَ تَمْنَعُونَهُمْ إياها؟ وإنْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُم فَقَدْ أسأتُمُ الأثرة[٥] وتَرَكْتُمُ النِّصْفَةَ[٦]! فقالَ هشامٌ: نحنُ أقفالٌ[٧] عندَ الله مفاتِيحُها، فإذا أَذِنَّ في شيءٍ فَتَحْنَا له»!

٢٢ ـ اسْتِرْفادُ عِراقيٍّ لهشامِ بنِ عبدِ المَلِكِ

أنساب الأشراف ٨: ٣٩٧

قالَ عِراقيٌّ لبعضِ خُلَفاءِ بني أُمَيَّةَ هشامٍ أو غيره:

«إنْ كانَ هذَا المالُ لكم فقد بَخِلْتُمْ به، وإنْ كانَ بَينكُمْ وبينَ رَعِيَّتكم فقد أَسأتُمُ الأَثرة[٨]، ومَنَعْتُمُ الحقَّ، وإنْ كانَ لكم أنْ تُعْطُوا ولكم أنْ تَمْنَعُوا فأنتم كما قالَ الله: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[ص: ٣٩] ».

---

(١) غُمَارُ النَّاس: زَحْمَتُهم وكَثْرَتُهم وجَماعَتُهم.

(٢) الأنْضَاء: جمع نِضْوٍ، وهو المهزول.

(٣) فَلُّ سَنةٍ: الفَلُّ: القَوْمُ المُنْهَزِمُونَ، والسَّنَةُ: الجَدْبُ، أي: هم فُقَراءُ جَدْبٍ على المَثَلِ بفَلِّ الجيش، يريد أنَّ الجَدْبَ أفْقَرهم وذَهَبَ بأمْوَالهم، فهم مُعْدَمُون بائِسُونَ مُحْتاجُون.

(٤) بَثَّ الشيءَ: فَرَّقه ونَشَره، وبَثَّ المال: وَزَّعَهُ وقسمه.

(٥) الأثرة: الانفراد بالشيءِ والاسْتِئثارُ به.

(٦) أنْصَفَهُ: أعطاه الحقَّ، والنِّصْفَةُ: اسم الإنصاف، وتفسيره أنْ تُعطي خَصْمَكَ من نفسِك النِّصْفَ، أي: أن تُعْطِيَهُ من الحقِّ كالذي تَسْتَحِقُّ لنفسك.

(٧) الأقفال: جمع قُفْلٍ، وهو ما يُغْلَقُ به الباب.

(٨) الأثرة: الانْفِرادُ بالشيءِ والاسْتِئثارُ به.

٢٣ ـ اسْتِرْفادُ أعْرابيٍّ لهشامِ بنِ عبدِ المَلِكِ

أنساب الأشراف ٨: ٤٢٠

«أذِنَ هشامٌ يوماً إذناً عاماً، فدخلَ أعرابيٌّ فقال: يا أميرَ المؤمنينَ، قد كَبِرتْ سِنّي، ورَقَّ عَظْمي[١]، فأعنيِّ بالفَرْضِ[٢] لابنيَّ، فإنّهما كما يُحبُّ أميرُ المؤمنينَ في طاعَتِهما وَجَلَدِهما[٣]. قال: ما ذاكَ لكَ عندَنا. قال: فأقْطِعْني[٤] داراً إلى جانبِ داري كانت ليهوديٍّ هَلَكَ، ولا وارثَ له أوسِّع بها منزلي. قال: بيتُ المالِ أحقُّ بها. قال: فأزْرِعْني[٥] مزرعةً إلى جانبي تُخَفِّفْ من خَراجها عني. قالَ: لا. فولّى الرجلُ وهو يقولُ: ما رأيتُ كاليومِ قطُّ رجلاً أفْحَشَ بخلاً ولا أسوأَ ردّاً. وسَمِعَ هِشَامٌ كلامَهُ فَنَكسَ[٦]، ورَفَعَ الشُّرَطُ عليه العَمَدَ[٧]،..... فقالَ الأعرابيُّ: ما يَنْبغي أنْ أَلومَكَ، وإنّي لأعلمُ أنّك عبدٌ من عبيدِ الله، لا تُعْطِي ولا تُمْسِكُ[٨] إلاّ بإذْنِهِ. قال هشام: رُدُّوه، كَيْفَ قُلْتَ؟ فأعادَ قولَهُ، فقالَ: صَدَقْتَ، أعِدْ عليَّ حَوائجَكَ، فَقَضاها»!

٢٤ ـ اسْتِرْفادُ أعْرابيٍّ لهشامِ بنِ عبدِ المَلِكِ

أنساب الأشراف ٨: ٣٩٣

«دَخَلَ أعرابيٌّ على هشامٍ، فقال: يا أميرَ المؤمنينَ، إنْ يكنِ المالُ الذي في أيديكم للهِ فَبُثُّوه[٩] في عبادِ الله، وإنْ كانَ بينَكم وبينَهُمْ فلقد أسأتم الأَثَرة[١٠] عليهم، وأَثِمْتُمْ في

---

(١) الرَّقَقُ: ضَعْفُ العِظَام. ويقال: رَقَّتْ عظام فلانٍ إذا كَبِرَ وأسَنَّ. وفي حديث عثمان: «كَبِرَتْ سِنّي، ورَقَّ عَظْمي»، أي: ضَعُفْتُ.

(٢) الفَرْضِ: العطاء، أي: أنْ يُلْحَقَ ابناه بالدِّيوان، ويُجْرَى عليهما العطاء.

(٣) الجَلَدُ: القوة والشدة والصلابة.

(٤) أقْطَعَه: أعْطاه.

(٥) أزرعه مَزْرعةً: جَعَلَهُ يَزْرَعها.

(٦) نكسَ رَأسَه ونكَّسَهُ بالتشديد: أمالَهُ وطأطأه.

(٧) العَمَدُ: جمع عَمُودٍ، وهو القَضيبُ من خَشَبٍ أو حديدٍ.

(٨) أمْسَكَ المال: حَبَسَهُ ومَنَعَهُ.

(٩) بثّ المال: فَرَّقه وَوَزَّعه وَقَسَمه.

(١٠) الأَثَرَةُ: الاسْتِئْثارُ بالشيءِ والانْفرادُ به. وفي الحديث قال للأنصار: «إنكم سَتَلْقَوْنَ بعدي أثرةً، فاصبروا». الأثرة بفتح الهمزة والثاء: الاسم من آثَرَ يُؤْثِرُ إيثاراً، إذا أعْطَى. أرادَ أنّه يُسْتَأْثَرُ عليكم فَيُفَضَّلُ غيرُكم في نَصيبه من العَطاءِ، (اللسان: أثَرَ)، أو يَسْتأثر أُمَراءُ الجَوْرِ بالفيءِ. (أساس البلاغة: أثر).

حِرْمَانكم إيَّاهم، وإنْ كانَ لكم دُونَهم فَتَصدَّقُوا، فإنَّ ا لله يُحِبُّ المُتَصدِّقينَ. فقال: وا للهِ ما تَرَكَ واحدةً من ثلاثٍ، فأعطاهُ، فَخَرَجَ وهو يقولُ: ما أكَزَّ[1] يدَهُ بالمعروفِ»!

٢٥ـ اسْتِرْفادُ أعْرابيٍّ من بني أسَدٍ لهشامِ بنِ عبدِ المَلِكِ

أنساب الأشراف ٨: ٣٩٦

و البيان والتبيين ٢: ٥٥

وعيون الأخبار ٢: ٣٣٨

«قَدِمَ رُصَافَةَ هشامٍ رجلٌ من بني أسدٍ، ثم من بني فَقْعَس على هشام، فَدَخَلَ عليه حين جَلَسَ للعامّةِ، فقالَ: يا أميرَ المؤمنينَ، أتتْ علينا سُنونٌ[2] ثلاثٌ أجْحَفتْ[3] بالأموال، ونَخبَتْ[4] قُلُوبَ الرِّجال، فأمَّا الأُولى منهنَّ فأذابتِ الشَّحْمَ، وأمَّا الثانيةُ فَنَحَضَتِ[5] اللَّحْمَ، وأمَّا الثالثةُ فَهاضَتِ[6] العظمَ، وفي أيْدِيكم فُضُولُ[7] أموال، فإنْ تكنْ للهِ فَبُثُّوها[8] في عبادِ ا لله، وإنْ تكنْ لهم فَعَلامَ تحظرونها[9] عنهم وتمنعونها ذوي خلَّتِهم[10]؟ وإنْ تكن لكم فَتصدَّقُوا فـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف: ٨٨].

قال هشامٌ: هذه حَاجَتُكَ في خَاصتِك، فما حَاجَتُكَ في عامَّتِكَ؟. قال: ما لي حاجةٌ في خاصةٍ دونَ عامةٍ. فكتبَ هشامٌ إلى خالدِ بنِ عبدِ ا للهِ أنْ أنْفِقْ على من أقْحَمَتْهُ

---

(١) رَجُلٌ كَزٌّ، وكَزُّ اليَدَيْنِ: بخيلٌ شحيحٌ قليلُ المُوَاتاةِ والخَيْرِ.

(٢) السُّنون: جمع سنةٍ، يقال: أصَابتهم السَّنَةُ، يَعْنُونَ به السنة المُجْدبة.

(٣) أجْحَفتْ بالأموال: ذهبت بالإبل وأهْلَكَتْهَا. والسنة المجحفة: التي تجحفُ بالقوم قتلاً وإفساداً للأموال.

(٤) نُخِبَ قَلْبُه ونَخِبَ: كأنما نزع، من قولهم: نَخَبْتُ الشيءَ وانتَخبته إذا نزعتَه. ورجلٌ نَخْبٌ: جبان كأنه مُنْتَزَعُ الفؤاد، أي: لا فؤادَ له. والمراد جعلتهم جبناء.

(٥) نحضَ اللحم: قَشَرَه. ونَحضَ العظم: أخذ ما عليه من اللحم واعْتَرَفَهُ.

(٦) هاضَ العَظْم: كسَرَهُ بعدَ الجَبْرِ أو بعدَ ما كاد يَنْجبر.

(٧) فضُول: جمع فَضْلٍ، وهو الزيادة.

(٨) بثَّ الشيءَ: فرَّقه ونشرَه، وبثَّ المَالَ: وَزَّعَه وقَسَمهُ.

(٩) حَظَر الشيء: مَنَعَهُ.

(١٠) الخلة: الحاجة والفقر.

السَّنَةُ[١] حتى يأتي الله بالحَيا[٢] والخِصْب، وكتبَ بمثلِ ذلك إلى إبراهيمَ بنِ هشامٍ عامِلِهِ بالمدينةِ فأنْفَقَا. فاحْتَسَب[٣] [خالدٌ] بألفي ألفِ دِرْهَمٍ، واحتسبَ إبراهيمُ بسبعينَ ألفِ دينارٍ، فَسُمِّيَتْ السَّنَةُ سنةَ خالدٍ».

٢٦ ـ اسْتِرْفادُ رَجُلٍ لهشامِ بنِ عبدِ الملكِ

أنساب الأشراف ٨: ٣٩٧

«كانَ يُفْطِرُ عندَ هشامٍ قومٌ في شهرِ رمضانَ، فسألهُ رجلٌ منهم حاجةً، فقالَ هشامٌ: ألمْ أنهكُمْ عن أنْ يكلّمَني أحدٌ في حاجةٍ في هذا الشَّهرِ؟. فقالَ لَهُ رجلٌ يُكنّى أبا نُوحٍ من بني تميمٍ، ممن كانَ يُفْطِرُ معه: واللهِ لقَدْ أمرَ لي أميرُ المؤمنينَ بخَصيٍّ، فما منَعَني من تَنَجُّزِ[٤] ذلك إلاّ هذا الشهرُ. قالَ هشامٌ: ما أعْلَمني أَمَرْتُ لكَ بشيءٍ؟ قال: بلَى، يا أميرَ المؤمنينَ، قد أمرتَ لي بـه ولكنّكَ نَسِيتَ. قال: فمن يَعْلَمُ ذلك؟. قال: إبراهيمُ بنُ هشامٍ خالُكَ. قال: أكذلك يا إبراهيمُ؟. قال: نعم يـا أميرَ المؤمنينَ، وما كنتُ أرَى نسيانَكَ يبلغُ هذا! فأمرَ له هشـامٌ بـالخصيِّ. فلمـا خـرجَ أبـو نـوحٍ وَقَـفَ لإبراهيمَ، فلما خرجَ إبراهيمُ قال: جزاكَ اللهُ خيراً. قـال: لكـنْ لا جزاكَ اللهُ خيراً! ويحـك. ألاَ أعْلَمْتَني أنّك تريدُ هذا قَبْلَ أنْ تَقُولَهُ؟ ثم قال: إيّاك أنْ تعودَ لمثلها»!

٢٧ ـ اسْتِرْفَادُ أعْرابيٍّ لِمَسْلَمةَ بنِ عبدِ المَلِكِ

أنساب الأشراف ٨: ٣٦٥

«دَخَلَ أعرابيٌّ علـى مسـلمة، فقـال: يـا ابـنَ الخليفـةِ، زُرْتُـكَ وأنـت غُـرَّةُ[٥] مُضَـرَ وحَسِيبُها[٦] حين تُذْكَرُ، قد تَعَطَّفَتْ عليـك الأمـلاكُ[٧]، فليـسَ يَخَـافُ ضَيْفُـكَ الهـلاكَ،

(١) أقْحَمَتْهُ السَّنَةُ: أخْرَجَتْهُ من البادية وأدْخَلَتْهُ الحَضَرَ هرباً من الجَدْب. وقُحْمَةُ الأعراب: أنْ تصيبَهم السنة فتهلكهـم، فذلـك تَقُحُّمها عليهم أو تَقَحُّمهم بلادَ الرِّيف.

(٢) الحَيا: المَطَرُ.

(٣) احْتَسَبَ عندَ اللهِ خيراً: قَدَّمه، ومعناه اعْتَدَّه فيما يُدَّخر، أو طلب عليه الأجْرَ من اللهِ تعالى.

(٤) تَنَجَّزَه العِدَةَ والحاجةَ: سألَهُ إنجازَها واستْنْجَحها، أي: طَلَبَ قَضَاءَها والوَفاءَ بها.

(٥) فلانٌ غُرَّةُ قومه: أي: سيِّدهم، وفلان غُرَّةٌ من غُرَرِ قومِهِ: أي: شريفٌ من أشرافهم.

(٦) حسيب قومه: أي: ذو الحَسَبِ، وهو ما يعده من مفاخر آبائه.

(٧) تعطَّفَتْ عليك الأملاك: إذا كانَت أطرافُهُ مُلُوكاً.

وأنتَ في فَرْعِ نضارٍ[١]، وَرِثْتَهُ عن ذوي الأخْطَارِ[٢]، ولك يَدٌ تُمْطِرُ الندَّى، وأخرى تَقْتُلُ العِدى، وقد رُزِقْتَ من الناسِ الحَمْدَ، فَدَلَّ عليك فَضْلُكَ. فقال مسلمةٌ: يا أعرابيُّ، إنك لفصيحٌ. قال: أجَلْ، وإني لَصَرِيحٌ[٣]. فقال مسلمة: قلما تَجدُ أعرابياً عاقلاً! قال: وما يُذْهِبُ عَقَلَهُ إذا كان كاملاً؟ قال: قلةُ مُخالَطتهِ النَّاسَ. فقال: ذلك أكْيَدُ[٤] لَهُ عند الناسِ. قالَ مسلمةُ: وأنَّى له بذلكَ، وهو لا يَرَى القِتَالَ؟ قال: يكونُ غُمْراً[٥] فَيَجْتَرِئُ على الأبْطَالِ. قالَ مسلمةُ: احْتَكِمْ[٦] يا أعرابيُّ. قال: عَشْرُ جلالِ[٧] تَمْرٍ، وعَشْرُ أعْنُزٍ، وقَطِيفةٌ[٨] للعيالِ، وحِملاً نَحْمِلُ عليه مَتاعاً وثلاثين دِرْهَماً! فأمر له بِضِعْفِ[٩] ما طَلَبَ».

٢٨ـ اسْتِرْفَادُ سَعْدِ بنِ المُخَاشِنِ الضَّبِّيِّ لزيادِ ابنِ أبيهِ

أنساب الأشراف ٤: ١: ١٨٨

وعيون الأخبار ٣: ١٢٨

والعقد ١: ٢٧١

وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥: ٤١٩

«أبطأَ زيادٌ يوماً بالغَداءِ لأمرٍ كانَ ناظرَ فيه الدَّهاقينَ، فقال سَعد بنُ المُخَاشِنِ[١٠] الضَبِّيُّ: الغداء، أصلح الله الأمير! فقال رجلٌ من الدَهاقين: بأيِّ ذُنُوبنا ابْتُلينا بهؤلاءِ الكلابِ! فسمعها زياد، فقال: بجُرأتِك على الله، وكُفرك به، وكَذِبكَ عليه، وقال لابنِ مُخَاشن: لا تعودنَّ لِمِثْلِ هذا.

---

(١) فَرْعُ قَوْمِهِ النَضَار: أي: شريفهم الخالص الشرف.

(٢) الأخطار: جمع خَطَر، وهو القدر والشرف والمنزلة.

(٣) الصريح: الرجل الخالص النَّسب، أي: العَربيُّ المَحْضُ.

(٤) أكيدُ: أي: أكثر مكراً واحتيالاً وختلاً للناس.

(٥) الغمر: الجاهل الغِرُّ الذي لم يُجرِّبِ الأمور و لم تُحنِكْهُ التَّجارب.

(٦) احتكم فلانٌ في مالِ فلان: إذا جاز فيه حكمه، أي: نَفذَ أمرُهُ.

(٧) الجلال: جمع جلة، وهي وِعاء يُتَّخذ من الخوص يُوضع فيه التمر ليكنز.

(٨) القطيفة: كساءٌ له خَمْلٌ.

(٩) الضِّعْف: المِثْل. والضِّعْف: مِثْلاَ الشيء.

(١٠) في الأصل: «المُحَشُّ». ومُخَاشِنٌ من أسماء الأعلام المعروفة.

ثمَّ دعا بالغداء، فأكل وأكلَ معه ابنُ المُخاشن، وكان أكولاً، فقالَ له زياد: مالك من الولد؟ قال: تسعُ بناتٍ، أنا أجملُ منهنَّ، وهنَّ آكَلُ منيّ! فقال لقد ألْطَفْتَ[1] في المسألة! ففرض لهنَّ».

٢٩ـ اسْتِرْفَادُ أعْرَابيٍّ لزيادِ بنِ أَبيهِ

عيون الأخبار ٣: ١٢٥

وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥: ٤١٩

قَدِمَ على زيادٍ نَفَرٌ من الأعرابِ، فقامَ خَطِيبُهم، فقال:

«أصلحَ ا للهُ الأميرَ! نحنُ، وإنْ كانتْ نَزَعتْ بنا أنفُسُنا إليك، وأنْضَيْنا[2] ركائبنا نحوَكَ التماساً لِفَضْلِ عَطَائِكَ، عالمونَ بأنه لا مانِعَ لما أعْطَى ا للهُ، ولا مُعْطِيَ لَما مَنَعَ. وإنَّما أنتَ أيُّها الأميرُ خازنٌ ونحنُ رَائِدون[3]، فإنْ أُذِنَ لك فأعطيتَ حَمِدْنا ا للهَ وشكرناكَ، وإنْ لم يُؤذَنْ لك فمنعتَ حَمِدْنَا ا للهَ وعَذَرناك». ثم جَلَسَ.

فقال زيادُ لجلسائه: تا للهِ ما رأيتُ كلاماً أبلغَ ولا أوجَزَ ولا أنفعَ عاجلةً منه. ثم أمرَ لهم بما يُصْلِحُهم.

٣٠ـ اسْتِرْفَادُ رجلٍ للحجَّاجِ بنِ يُوسُفَ الثَّقَفيِّ

عيون الأخبار ٣: ١٣٠

«أتَى رجلٌ يزيدَ بنَ أبي مسلمٍ برُقْعةٍ[4] يسألُهُ أنْ يرفعَها[5] إلى الحجَّاج، فنظر فيها يزيدُ فقال: ليست هذه من الحوائج التي تُرفَعُ إلى الأمير. فقالَ له الرجلُ: فإني أسألُكَ أنْ ترفَعَها، فلعلَّها توافقُ قَدَراً[6] فيقضِيَها[7] وهو كارهٌ! فأدخلَها وأخبرَهُ بمقالةِ الرَّجُلِ، فنظرَ الحجَّاجُ في الرُّقعةِ، وقال ليزيدَ: قلْ للرجلِ: إنَّها وافقتْ قَدَراً، وقد قَضَيْنَاها ونحنُ كارِهُونَ».

---

(١) ألْطَفَ في المسألة: سأل سؤالاً لطيفاً. وألْطَفَ في القول: ترفَّقَ واحتال.

(٢) أنْضَى: أهْزَل.

(٣) رائدون: جمع رائد، وهو طالب المعروف.

(٤) الرُّقْعَةُ: واحدةُ الرِّقاعِ التي تُكْتَبُ في حَقٍّ أو حاجةٍ أو قِصَّة أو قضيَّةٍ.

(٥) رَفَعَ رُقْعَتَهُ إلى الوالي: قَدَّمَها إليه.

(٦) القَدَرُ: القَضَاءُ المُوَفَّقُ، وإذا وافقَ الشيءُ الشيءَ قيل: جاء قَدَرُهُ.

(٧) قَضَى حاجَتَهُ: أنْفَذَها وأمْضَاها وأنْجَزَها.

٣١ـ اسْتِرْفَادُ محمدِ بنِ واسعٍ الأَزْديِّ لِقُتَيْبَةَ بنِ مُسْلِمٍ البَاهليِّ

عيون الأخبار ٣: ١٢٧
والعقد ١: ٢٤٣
وبهجة المجالس ١: ٣١٩

دَخَلَ محمدُ بنُ واسعٍ على قُتَيْبَةَ بنِ مُسْلِمٍ، فقالَ له:

«أَتَيْتُكَ في حاجةٍ رَفَعْتُها إلى ا للهِ قَبْلَك، فإنْ تَقْضِها حَمِدْنَا ا للهَ وشَكَرْنَاكَ، وإنْ لم تَقْضِها حَمِدْنا ا للهَ وعَذَرْنَاك».

فأمَرَ له بحاجَتِهِ.

٣٢ـ اسْتِرْفَادُ مُحَمَّدِ بنِ وَاسعٍ الأَزْدِيِّ لِقُتَيْبَةَ بنِ مُسْلِمٍ الباهليِّ

عيون الأخبار ٣: ١٢٧
والعقد ١: ٢٤٢

قال محمدُ بنُ واسعٍ لقُتَيْبَةَ بنِ مسلم في حاجةٍ:

«إنّي أتَيْتُكَ في حَاجةٍ، فإنْ شِئْتَ قَضَيْتَها، وكُنَّا جميعاً كريمَيْنِ، وإنْ شِئْتَ مَنَعْتَها، وكنَّا جميعاً لَئِيمَيْنِ[1]».

٣٣ـ اسْتِرْفَادُ الكَوْثَرِ بن زُفَرَ بنِ الحَارِثِ الكِلابيِّ ليزيدَ بنِ المُهَلَّبِ

العقد ١: ٢٥٥
و البيان والتبيين ٢: ٥١
وعيون الأخبار ٣: ١٢٤

دَخَلَ الهُذَيْلُ بنُ زُفَرَ بنِ الحَارثِ الكلابيِّ على يزيدَ بنِ المُهَلَّبِ، فقال:

«أصلحَ ا للهُ الأميرَ! أنتَ أعظمُ من أن يُستعان بك، ويُستعانَ عليك، ولستَ تَفْعَلُ من الخيرِ شيئاً إلا وهو يَصغُرُ عنك، وأنت أكبرُ منه، وليس العجبُ أنْ تَفعلَ، ولكن العَجَب أنْ لا تَفْعَلَ».

قال: سَلْ حاجتك. قال: قد حَملتُ عن عَشيرتي عَشْرَ دِيَاتٍ. قال: قد أمرتُ لك بها، وشَفعتُها[2] بمثلها.

---

(١) قال ابن عبد ربه: «أرادَ إنْ قَضَيْتَها كنتَ أنتَ كريماً بقضائها، وكنتُ أنا كريماً بسؤالك إياها، لأني وَضَعْتُ الطِّلبةَ في مَوْضِعها. فإنْ لم تَقْضِها كنتَ أنتَ لئيماً بِمَنْعِكَ وكنتُ أنا لئيماً بِسُوءِ اختياري لكَ». (العقد ١: ٢٤٢).

(٢) شفعتها: زِدْتُ عليها.

٣٤ـ اسْتِعْطافُ رَوْحِ بنِ زِنْباعٍ الجُذاميِّ لمعاويةَ بنِ أبي سُفْيانَ

أنساب الأشراف ٤: ١: ٥٣

و البيان والتبيين ١: ٢٨٠

وعيون الأخبار ١: ١٠٢

والعقد ٢: ١٥٦

وأمالي القالي ٢: ٢٥٥

وزهر الآداب ١: ٥٧١

وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥: ٣٤١

«وَجَّهَ معاويةُ رَوْحَ بنَ زِنباعٍ الجُذاميَّ إلى بعضِ المُلوكِ في صُلحٍ جَرَى بينَهُ وَبَيْنَهُمْ، ليكتبَ بَيْنَهما كتاباً. فلمَّا قَدِمَ رَوْحٌ على المَلِكِ فَتَشَدَّدَ في الشَّرْطِ فَقالَ له المَلِكُ: ما هذا التَّشَدُّدُ، وقد بَلَغني أنَّك من صَعاليكِ العَربِ، وأنَكَ تريدُ الرُّكُوبَ إلى صَاحِبِكَ فَتَسْتَعِيرُ الدَّوَابَّ؟ وإنَّك لستَ تُبْصِرُ أمْرَكَ، ولا تَقْصِدُ لما فيه الحَظُّ لك، فأَصِبْ من هذا المالِ، واعْمَلْ لِنَفْسِكَ . فأعطاه عشرينَ ألفَ دينارٍ، ولَيَّن له الشَّرْطَ. فلمَّا قَدِمَ على معاويةَ نَظَرَ في الشَّرْطِ، فقالَ: وَيْحَكَ ما عَمِلْتَ إلاَّ له عليَّ، ولقد خُنتَني[١] وغَشَشْتَني[٢]! وا للهِ لأُعاقبَنَّك عقوبةً أجعلك فيها نَكالاً[٣] لَمن بَعْدَك، خُذَاهُ فقال رَوْح:

أنْشُدُكَ ا للهَ[٤]، يا أميرَ المؤمنينَ، أنْ تُبدِيَ منِّي خَسِيسةً أنتَ رَفَعْتَها[٥]، أو تَهْدِمَ منِّي رُكناً أنت بَنَيْتَهُ، أو تَنْقُضَ[٦] لي مَريرةً[٧] أنت أبْرَمتَها[٨] وأنْ تُشْمِتَ[٩] بي عدوّاً أنت

(١) خَانَهُ : ائْتَمَنَهُ فلم يَنْصَحْ له.

(٢) غَشَّهُ: لم يَمْحَضْهُ النصيحة.

(٣) النَّكالُ: العِبْرةُ، يقال: نَكَّلَ به إذا عاقبه في جُرْمٍ أجْرَمَهُ عقوبةً تُنَكِّلُ غيرَهُ عن ارتكابِ مثله، أي: تَرْدَعُهُ وتَمْنعه.

(٤) نَشَدْتُك ا للهَ، وأنْشُدُك با للهِ: سألْتُكَ با للهِ، أو اسْتَحْلَفْتُكَ با للهِ، أو أقْسَمْتُ عليك.

(٥) يقال: رَفَعْتُ من خَسِيسَتِهِ: إذا فَعَلْتَ به فعلاً يكونُ فيه رِفْعَتُهُ. ويقال: رَفَعَ ا للهُ خَسِيسَةَ فلانٍ: إذا رَفَعَ حَالَهُ بعدَ انْحِطَاطِها. والخَسَاسة: الحالة التي يكون عليها الخسيس.

(٦) نَقَضَ الحَبْلَ: نَكَثَهُ وفَكَّ طاقاتِه بَعْضُها من بَعْضٍ، والمراد أضْعَفَهُ.

(٧) المريرة: الشكيمة وعزة النفس، وأصْلُها من المريرة، وهي الحَبْلُ الشديدُ المَفْتُولُ على أكثر من طاق.

(٨) أبْرَمَ الحَبْلَ: جَعَلَهُ على طاقَيْن. ثم فَتَلَهُ فصارا حبلاً واحداً. والمراد قَوَّى شكيمَتَهُ وعِزَّةَ نَفْسِهِ.

(٩) أشمت به العَدُوَّ: أفْرَحَهُ بما أنْزَلَهُ به من بَلِيَّةٍ أو عقوبة.

وَقَمْتَه[١] وَكَبَتَّهُ[٢]! ليأتِ[٣] حِلْمُكَ على جَهْلي وَعَفْوكَ على ذَنْبي، وإحْسَانُك على إساءتي! فَرقَّ[٤] له معاويةُ، رضيَ ا للهُ عنه وقال: خَلُّوهُ[٥]:

«إذا ا للهُ سَنَّى[٦] حَلَّ عَقْدٍ تَيَسَّرا».

٣٥ـ اسْتِعْطافُ الحجَّاجِ بنِ يُوسُفَ لِعَمْرِو بن عُتْبَةَ بنِ أبي سُفْيَانَ

عيون الأخبار ٣: ١٠٥

وَقَعَ الحجَّاجُ بنُ يُوسُفَ يوماً بخالدِ بنِ يَزيدَ بن معاويةَ يَعيبُهُ ويَنْتَقصُهُ، وعندَهُ عمرُو بن عُتْبَةَ، فقال عَمْرٌو: إنَّ خالداً أدْرَكَ مَنْ قبلَهُ، وأتْعَبَ من بَعْدَه بقديمٍ غلبَ عليه، وحَدِيث لم يُسْبَقْ إليه. فقالَ الحَجَّاجُ مُعْتَذِراً:

«يا ابنَ عُتْبة، إنّا لَنَسْتَرْضِيكُمْ بأنْ نَغْضَبَ عليكم، ونَسْتَعْطِفُكُم، بأنْ نَنَالَ[٧] منكم، وقد غَلَبْتُمْ على الحِلْمِ، فَوثِقْنا لكم به، وعلِمنا أنكم تُحبُّونَ أنْ تَحْلُمُوا، فَتَعَرَّضْنا[٨] للذي تُحِبُّون»!

٣٦ـ اسْتِعْطَافُ سعيدِ بنِ عمرِو بنِ سعيدٍ لعبدِ الملكِ بنِ مَرْوَانَ

تاريخ الرسل والملوك ٦: ١٤٧

والكامل في التاريخ ٤: ٣٠٢

دَخَلَ أوْلادُ عمرِو بنِ سَعيدٍ الأشْدَق على عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ بعدَ أنْ قَتَلَ مُصْعَبُ بنَ الزُّبير، واجْتَمَع النَّاسُ عليه، وهم أرْبَعةٌ: أمَيَّةُ، وسعيدٌ، وإسماعيلُ، ومُحمدٌ، فَلمَّا نظرَ إليهم عبدُ الملكِ قال لهم: إنّكم أهْلُ بيتٍ لم تَزَالُوا تَرَوْنَ لكم على جميعِ قومكم فَضْلاً لم يَجْعَلْهُ ا للهُ لكم، وإنَّ الذي كانَ بيني وبينَ أبيكم لم يكنْ حديثاً، بل كان قديماً في أنْفُسِ أوَّليكم على

---

(١) وَقَمَهُ: قهره وأذلّه.

(٢) كَبَتَهُ: صَرَعَهُ وخَيَّبَهُ وغَاظَهُ وأحْزَنَهُ.

(٣) أتى عليه: ذهبَ به وغَلَبَ عليه.

(٤) رقَّ له: رَحِمَهُ وتعطَّفَ عليه.

(٥) خلاه: تركَهُ وأطْلَقَ سراحَهُ.

(٦) سَنَّى الشيءَ: فتحهُ وسَهَّلَهُ.

(٧) نَالَ ... أعطاه سُؤْلَهُ.

... الصفحة ...

أوَّلينا في الجاهلية. فأُقْطِع بأميَّة بن عمرٍو، وكان أكبرهمَ فلم يَقْدِرْ أنْ يتكلَّمَ، وكان أنْبَلَهم وأعْقَلهم. فقامَ سعيدُ بنُ عَمْرٍو، وكانَ الأوْسَطَ، فقال:

«يا أميرَ المؤمنينَ، ما تَنْعَى[1] علينا أمراً كان في الجاهليَّة، وقد جاءَ الله بالإسلامِ فَهَدَم ذلك، فوعدَنَا جنَّةً، وحذَّرنا ناراً! وأمَّا الَّذي كان بينَك وبينَ عَمرٍو فإنَّ عمراً ابنُ عَمِّك، وأنتَ أعلَمُ وما صَنَعْتَ، وقد وَصَلَ عَمرٌو إلى الله، وكَفَى بالله حسيباً. ولعَمريَ لئن أخْذَتَنا بما كانَ بَينَكَ وبينَهُ لَبَطْنُ الأرضِ خيرٌ لنا من ظَهْرِها»!

فَرَقَّ[2] لهم عبدُ الملكِ رقَّةً شديدةً، وقال: إنَّ أباكم خيَّرني بينَ أن يقتُلَني أو أقتلَهُ، فاخترتُ قتلَه على قَتْلي، وأمَّا أنتم فما أرغبني فيكم، وأوْصَلَني لِقُرابتكم، وأرعاني لحقِّكم! فأحسن جائزتَهم، ووصلَهم وقرَّبهم.

٣٧ـ اسْتِعْطافُ رَجاءِ بن حَيْوَةَ الكِنْدِيِّ لعبدِ المَلكِ بنِ مَرْوَانَ في أسارَى أرادَ قَتْلَهم

أنساب الأشراف ٧: ٢٢٢

أُتِيَ عبدُ الملكِ بنُ مَرْوَانَ بأسارَى، فَهَمَّ بِقَتْلِهم، فقال له رَجاءُ بنُ حَيْوَةَ:

«يا أميرَ المؤمنينَ، أذكِّرُكَ آلاءَ[3] الله عندَكَ بالعَفْوِ».

فَعَفَا عنهم، وأمر بتخْلِيتهم.

٣٨ـ اسْتِعْطافُ الهَيْثَم بنِ الأسْوَدِ النَّخَعيِّ لعبدِ الملكِ بنِ مروانَ في خَارجيٍّ من قَوْمِهِ

أنساب الأشراف ٧: ٢١٥

«دَخَلَ الهيثمُ بنُ الأسودِ النَّخَعيُّ على عبدِ الملكِ، وقد أُتِيَ بخارجيٍّ من النَّخَعِ، وعبد الملك يَحْلِفُ لَيَقْتُلَنَّهُ، فقال للهيثمِ: هذا رجلٌ من قَوْمِكَ! قال: يا أمير المؤمنينَ، فهب جَاني[4] قومِ

(١) نعَى عليه الشيءَ: قبَّحه وعابه عليه ووَبَّخه.

(٢) رَقَّ له: رَحِمَهُ وتَعَطَّف عليه.

(٣) الآلاء: جمع ألًى وإلْيٍ وإلًى، وهي النِّعْمَةُ.

(٤) الجاني: المُذْنبُ المُجْرِمُ.

لِوافدهم. قال: هو لك. فَخَرج الهيثمُ والخارجيُّ معه، وهو يقولُ: تألَّى[١] على ا لله فَكَذَّبَهُ، وغالبَ ا للهَ عزَّ وجلَّ فَغَلَبَهُ».

٣٩ـ اسْتِعْطافُ رجلٍ لعبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ في الرِّضا عنه

العقد ٢: ١٥٦

«وَجَدَ[٢] عبدُ الملكِ بنُ مروانَ على رجلٍ، فَجَفاه[٣] واطَّرَحَهُ[٤]. ثم دَعَا بـه ليَسْأَلَهُ عن شيءٍ، فرآه شاحِباً[٥] ناحلاً[٦]، فقال: متى اعْتَلَلْتَ؟ فقال: ما مَسَّني[٧] سَقَمٌ[٨]، ولكنّي جَفَوْتُ[٩] نفسي إذ جَفاني الأميرُ، وآلَيْتُ[١٠] أنْ لا أرْضَى[١١] عنها حتى يَرْضَى عَنّي أميرُ المؤمنينَ! فأعَادَهُ إلى حُسْنِ رَأيِهِ».

٤٠ـ اسْتِعطافُ رَجُلٍ لعبدِ المَلكِ بنِ مَرْوَانَ في العَفْوِ عنه

عيون الأخبار ١: ١٠٢

والعقد ٢: ١٧٣

«أمَرَ عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ بقَتلِ رَجُلٍ، فقال: يا أميرَ المؤمنينَ، إنَّكَ أعَزُّ[١٢] ما تَكونُ أحْوَجُ ما تكونُ إلى ا للهِ، فاعْفُ[١٣] له، فإنَّك به تُعانُ، وإليه تَعُودُ. فَخَلَّى سَبِيلَهُ».

---

(١) تَألَّى: حَلَف وأقْسَم.

(٢) وَجَدَ عليه: غضب عليه.

(٣) جفاه: ترك صِلَتَهُ وبِرَّه، أو فَعَلَ به ما سَاءَهُ.

(٤) اطرَّحه: أبْعَدَه.

(٥) الشَّاحب: المُتَغيِّرُ اللَّوْنِ لعارضٍ من مَرَضٍ أو سَفَرٍ أو نَحْوِهما.

(٦) النَّاحل: المهزول.

(٧) مسَّه: أصَابَهُ.

(٨) السَّقَمُ: المَرَضُ.

(٩) جَفَا نفسه: أهْمَلَها و لم يَتَعَهَّدْها.

(١٠) آلَى: أقْسَمَ.

(١١) رَضِيَ عنه: تَرَكَ السُّخْطَ عليه وأحَبَّه وأقْبَلَ عليه.

(١٢) أعَزُّ: أقْوَى وأشَدُّ وأمْنَعُ. وأعَزَّ مَنْصُوبٌ على الحالِيَّة.

(١٣) عفا عنه: صَفَح.

٤١ـ اسْتِعْطافُ رَجلٍ لعبدِ الملكِ بنِ مَرْوَانَ في رَدِّ ابنهِ من الثَّغْرِ

أنساب الأشراف ٧: ٢٢٤

«قامَ رجلٌ إلى عبدِ الملكِ، فقال له: يا أميرَ المؤمنينَ، قطعتُ إليك القَفْرَ لأمرٍ ضاق بهِ الصَّدْرُ. قال: وما هو؟ قال: ابني بثغرٍ[١] كذا، وقد اشتدَّ إليه شَوْقي، وطال تَوْقي[٢]. فكتب في رَدِّه، فأُقْفِلَ».

٤٢ـ اسْتِعْطافُ أيُّوبَ بنِ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ لِعمِّهِ الوليدِ بنِ عبدِ الملك في يزيدَ بن المهلَّب وإخوته

تاريخ الرسل والملوك ٦: ٤٥١
والكامل في التاريخ ٤: ٥٤٧
ووفيات الأعيان: ٦: ٢٩٣

هَرَبَ يزيدُ بنُ المُهلَّبِ وإخوتُهُ الذين كانوا مَعَهُ من السِّجْنِ، فلحِقُوا بسليمان بنِ عبدِ الملكِ بفلسطين مُسْتَجيرينَ به من الحجَّاجِ بنِ يوسفَ والوليدِ بنِ عبدِ الملكِ، فآمنهم[٣]. وأبْلَغَ أخاه الوليدَ أنَّ يزيدَ بنَ المهلَّب عندَهُ، وأنه آمنه. فأقسمَ الوليد أنْ لا يُؤَمِّنه حتى يبعث به إليه. فأرسله وأرْسَلَ معه ابنه أيُّوبَ، فدخل على عمِّه هو ويزيدُ ابنُ المهلبِ في سِلْسلةٍ، وقال:

«يا أميرَ المؤمنينَ، نَفْسي فِدَاؤك! لا تُخفِرْ[٤] ذِمَّةَ أبي، وأنْتَ أحقُّ مَنْ مَنَعَها، ولا تَقْطَعْ منَّا رَجاءَ مَنْ رَجَا السَّلامَةَ في جِوَارِنا لِمَكانِنا منك، ولا تُذِلَّ مَنْ رَجَا العِزَّ في الانقطاع إلينا لِعِزِّنا بك»!

فقال: لقد شَقَقْنَا على سُلَيْمانَ! ثم دَعَا ابنَ أخيهِ فأدْنَاهُ منه.

---

(١) الثَّغْرُ: الموضعُ الذي يكون حَدّاً فاصلاً بين بلادِ المسلمين والكُفَّار، وهو موضع المخافة من أطرافِ البلاد.

(٢) تَوْقُ النَّفْسِ إلى الشيء: نِزَاعُها إليه واشتياقُها.

(٣) أمَّنَهُ وآمَنَهُ: أعطاهُ الأمانَ.

(٤) أخْفَرَ ذِمَّته: نَقَضَ عهدَهُ و لم يَفِ به.

٤٣ـ اسْتِعْطَافُ يَزيدَ بنِ المُهَلَّبِ للوليدِ بنِ عبدِ المَلِكِ

تاريخ الرسل والملوك ٦: ٤٥٢
و أنساب الأشراف ٨: ٢٨٦
ووفيات الأعيان ٦: ٢٩٤

لَمَّا فَرَغَ أَيُّوبُ بنُ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ من الكلام بَيْنَ يَدَيْ عمِّه الوليدِ بنِ عبدِ المَلِكِ في أَمْرِ المهالبةِ قامَ يزيدُ بنُ المُهَلَّبِ، فَحَمِدَ اللهَ وأَثْنى عليه وصلَّى على نبيِّه، ﷺ ثمَّ قالَ:

«يا أميرَ المُؤْمنينَ، إنَّ بَلاَءكم[١] عندَنا أحْسَنُ البَلاَءِ، فَمَنْ يَنْسَ ذلك فَلَسْنَا نَاسِيهِ، ومَنْ يَكْفُرْ فَلَسْنَا كَافِريه. وقدْ كانَ مِنْ بَلاَئِنا[٢] أهْلَ البيتِ في طاعتكم والطَّعْنِ في أعْيُن[٣] أعْدَائكم، في المَواطِنِ[٤] العِظَامِ في المَشَارِقِ والمَغارب ما إنَّ المنةَ[٥] عَلَيْنَا فيها عَظِيمةٌ».

فقالَ له الوَليدُ: اجلسْ فجلسَ، فَأَمَنَهُ وأمر بالكف عَنه.

٤٤ـ اسْتِعْطَافُ يزيدَ بنِ راشدٍ لسليمانَ بنِ عبدِ الملكِ

وفيات الأعيان ٢: ٤٢٥

احتالَ يزيدُ بنُ راشدٍ في الدُّخولِ على سُليمانَ بنِ عبدِ الملكِ مُتَنكِّراً، بعدَ أنْ ولِيَ الخلافة، فَقَعدَ في السِّماطِ. وكان سليمانُ قد نذرَ أنه إنْ أفْضَتْ إليه الخلافةَ قطعَ لسانَهُ، لأنه كان مِمَّنْ دعا إلى خَلْعِ سليمانَ، والبيعةِ لعبدِ العزيزِ بنِ الوليدِ، فقال:

«يا أميرَ المؤمنينَ، كنْ كنبيِّ اللهِ أيوبَ، عليه السلام، ابْتُلي[٦] فَصَبَر، وأُعْطِيَ فَشَكَرَ، وقَدَرَ فَغَفَر[٧]».

قال: ومنْ أنت؟ قال: يزيدُ بنُ راشدٍ. فعفَا عنه.

---

(١) البَلاَءُ: الإنْعَامُ والإحسان.

(٢) البلاء هاهنا: العَمَلُ والاجْتهادُ في صِفةِ حَرْبٍ أو كَرَمٍ، أي: الأثر الباقي المذكور.

(٣) يقال: لأضْرِبَنَّ الذي فيه عَيْنَاك، أي: رَأْسُكَ.

(٤) المواطن: جمع مَوْطِنٍ، وهو المَشْهَدُ. يقال: ثَبَتَ في مَوْطِنِ القتالِ ومَوَاطِنِهِ، وهي مَشاهِدُهُ.

(٥) المِنَّةُ: الاسم من المَنِّ، وهو الإحْسَانُ والإنعامُ والإعطاء. يقال: مَنَّ عليه، أي: أحْسَنَ وأنْعَمَ وأعْطى.

(٦) ابْتُلِيَ: اخْتُبِرَ وامْتُحِنَ. وحُسْنُ البَلاءِ: النِّعْمَةُ والاختبار بالخَيْرِ ليتبيَّنَ الشُّكْرُ، وبالشَّرِّ ليظهرَ الصَّبْرُ. (اللسان: سمع).

(٧) غَفَرَ ذنبه: سَتَرَهُ وغطَّى عليه وعَفَا عنه.

٤٥ـ اسْتِعْطافُ خالدِ بنِ عبدِ اللهِ القَسْرِيِّ لسليمانَ بنِ عبدِ المَلِكِ

العقد ٢: ١٥٦

وعيون الأخبار ١: ١٠٣

ووفيات الأعيان ٢: ٤٢٥

ونهاية الأرب ٦: ٦٤

قالَ خالدُ بنُ عبدِ اللهِ القَسْرِيُّ لسليمانَ بنِ عبدِ الملكِ حينَ وَجَدَ عليه:

«يا أميرَ المؤمنينَ، إنَّ القُدْرَةَ تُذْهِبُ الحَفِيظةَ[١]، وأنْتَ تَجِلُّ عن العُقُوبةِ. ونحنُ مُقِرُّونَ بالذَّنْبِ، فإنْ تَعْفُ عَنِّي فأهْلُ ذلك أنت، وإنْ تُعَاقِبْنِي فأهْلُ ذلك أنا».

فَعَفا عنه.

٤٦ـ اسْتِعْطافُ مَخْلِدَ بنِ يزيدَ بنِ المُهَلَّبِ لِعُمَرَ بنِ عبدِ العَزيزِ

تاريخ الرسل والملوك ٦: ٥٥٧

والكامل في التاريخ ٥: ٤٩

حَبَسَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ يزيدَ بنَ المُهَلَّبِ لأنه لم يُؤَدِّ المالَ الذي كتبَ إلى سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ أنه حازَهُ من فَتْحِ جُرْجانَ وطَبَرِسْتَانَ. فأقْبَلَ ابنُهُ مَخْلَدٌ من خراسَانَ حتى قَدِمَ على عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ، فَدَخَلَ عليه، فحمدَ اللهَ وأثْنى عليه، ثم قال:

«إنَّ اللهَ يا أميرَ المؤمنينَ صَنَعَ[٢] لهذه الأمَّةِ بِولاَيتك، وقد ابْتُلِينَا[٣] بك، فلا نكنْ أشْقَى النَاس بِولاَيَتِك! عَلاَمَ تَحْبِسُ هذا الشَّيْخَ؟ أنا أتَحمَّلُ ما عليه، فَصالحني على ما إيَّاه تسأل».

فقال عمر: لا إلاَّ أنْ تحملَ جميعَ ما نسألُهُ إيَّاه! فقال: يا أمير المؤمنين، إنْ كانت لك بَيِّنةٌ فَخُذْ بها، وإنْ لم تكنْ بيِّنةٌ فَصَدِّقْ مقالةَ يزيدَ، وإلاَّ فاستحْلفه، فإنْ لم يَفْعَلْ فصَالِحْهُ.

فقال عمر: ما أجِدُ إلاَّ أخْذَه بجميعِ المال.

---

(١) الحفيظة: الغضب.

(٢) صَنَعَ لهذه الأمة: أحْسَنَ إليها وأنْعَمَ عليها.

(٣) ابْتُلِينا بك: اخْتُبِرْنا وامْتُحِنَّا.

٤٧ـ اسْتِعْطَافُ أهْلِ السَّوادِ لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ أنْ يَرْفَع عنهم ظُلْمَ الحجَّاجِ ابنِ يوسفَ

أنساب الأشراف ١٣: ٣٧٤

«لم يَسْتَخرِجْ[١] الحجَّاجُ من أرضِ السَّوادِ[٢] شيئاً إلا الزَّابي[٣] والنِّيل[٤]، وذلك أنه كَتَبَ يَدْعُو أهلَ الخراج إلى أنْ يَكْفُوهُ مَؤُونَةَ[٥] ثقلِهِ[٦]، وأنْ يَضَعَ[٧] مثل ذلك مما عليه من خَراجِهم، فَأبوا، وكان يَرْفَعُ من ذلك إلى عبدِ الملكِ مالاً كثيراً. فلما وَلِيَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رَحَل إليه أهلُ الزَّابِ والنِّيلِ إلى البصرةِ، فَشَكَوْا إليه مما صَنَعَ الحجاجُ. فقال عمرُ: بِئسَ الرجلُ كان الحجاج! لقد كان ظالماً مُتَعدِّياً»!

٤٨ـ اسْتِعْطَافُ رَجُلٍ لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ

أنساب الأشراف ٨: ١٧٧

«أَتَى رجلٌ عمرَ مِن مِصْرَ، فقالَ له: يا أميرَ المؤمنينَ، إنَّ عبدَ العزيزِ أخذَ أرضيَ ظلماً. فقال: وأينَ أرْضُكَ يا عبدَ الله؟ قال: حُلْوَانُ. قال: أعْرِفُها ولي شُرَكَاءُ، وهذا الحاكِمُ بَيْنَنَا. فَمَشى عمرُ إلى القَاضي فَقضَى عليه. فقالَ عمرُ: قد أنْفَقْنَا[٨] عليها. قال القاضي: ذلك بما نِلْتُمْ[٩] من غَلَّتها[١٠]، فقد نِلْتُمْ منها بِمثْلِ نَفَقَتِكُمْ. فقال: لو حَكَمْتَ بغيرِ ذلك ما وُلِّيتَ لي أمراً أبداً، وأمرَ بِرَدِّها»!!

---

(١) اسْتَخْرَجَ الخراجَ: أخذه وجَمَعَهُ وجَبَاهُ واسْتَوْفاه.

(٢) السواد: ما بين البصرة والكوفة وحولهما من قراهما.

(٣) الزاب والزابي: المراد الزاب الأعلى أو الزاب الأسفل وهما بين بغداد وَوَاسط، أما الأعلى فهو عند قُوسَيْن، ومأخذه من الفرات، ويَصُبُّ عند زُرْقامية، وقصبةُ كُورتِهِ النُّعمانية على دجلة. وأما الزاب الأسفل فقصبَتُه نهر سابسُ قرب مدينة واسط.

(٤) النِّيل: بُلَيْدةٌ في سواد الكوفة قُرْبَ حَلَّة بني مَزْيَدَ يَخترِقُها خليجٌ كبير يَتَخلَّجُ من الفرات الكبير، حَفَره الحجاج بن يوسف، وسماه بنيل مصر.

(٥) المؤونة: النَّفَقَةُ.

(٦) ثَقَلُ الرجل: مَتَاعُهُ وحَشَمُهُ.

(٧) وَضَعَهُ: حَطَّهُ وأسْقَطَهُ.

(٨) أنفق على الأرض: صَرَفَ على إصْلاَحِها وحَرْثِها وزَرْعها.

(٩) نال: أصاب.

(١٠) الغَلَّةُ: الدَّخْلُ الذي يَحْصلُ من الزَّرع والثَّمَر واللَّبَنِ والإجارةِ والنِّتَاج ونحو ذلك.

٤٩ـ اسْتِعْطَافُ رَجُلٍ نَصْرانيٍّ لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ

أنساب الأشراف ٨: ١٧٣

«أَتَى رجلٌ نصرانيٌّ عمرَ بنَ عبدِ العزيز، فتظَلَّم من هشامٍ، وادَّعى أنَّ في يَدِهِ ضَيْعَتَهُ[١]. فقال: يا هشامُ، قُمْ مع خَصْمِك. قالَ: بل أُوَكِّلُ وكيلاً[٢] بخصومتهِ[٣]. قال: لا. فقامَ فجلسَ بينَ يَدَيْهِ، فجعلَ هشامٌ يَنْتَهِر[٤] خَصْمَهُ، فقال له عمرُ: يا أحْوَلُ، عندي تَنْتَهِرُهُ؟. إنْ عُدْتَ عَاقَبْتُكَ. فادَّعَى النَّصرانيُّ، فقال هشام: ضَيْعَتي وقَطيعةٌ[٥] أَقْطَعَنِيها عبدُ الملكِ، ومعي سِجلٌّ[٦] من الوليدِ وسليمانَ. فقال عمرُ لابنهِ عبد الملك: يا بنيَّ، انظرْ في سِجلاَّته وأَمْرِهِ. فنظرَ، فقال: أرَى أمرَ النصرانيُّ قوياً، وحُجَّتَهُ عاليةً، وحقُّ الله أَوْلَى ما أُوثِر[٧]. فقال عمرُ: أَحْرِقْ سِجلاَّتِهِ. فأحرَقَها، وردَّ على الرَّجُلِ ضَيْعَتَهُ. فلما ولي هشامٌ اسْتُؤْذِن في أَخْذِ الضَّيعةِ من يدِ النَّصْرانيِّ، فقال: لا تردُّوا حُكْماً حَكَمَ به عُمَرُ».

٥٠ـ اسْتِعْطَافُ رَجُلٍ لعمرَ بنِ عبدِ العَزيزِ

أنساب الأشراف ٨: ١٨٠

«قَدِمَ رَجلٌ من البصرةِ على عمرَ، فشكَا إليه عديَّ بنَ أرطَأة. فقال: غَرَّني[٨] بعمامتهِ[٩] السَّوداءِ، قد كتبْتُ إليه: من جاءَكَ ببَيِّنةٍ على حقٍّ هو له فَسَلِّمْهُ إليه، وقد

---

(١) الضَّيعة: الأرْضُ المُغِلَّة، أي: المزْرَعةُ.

(٢) وكيل الرجل: الذي يقومُ بأمره.

(٣) الخصومة: الاسْمُ من التخاصم والاختصام، أي: ما يُتَنازع فيه.

(٤) انْتَهَره: زَجَره.

(٥) أُقْطِعَهُ قطيعةً: مَلَّكَهُ طائفةً من أرضِ الخراج. والقطائعُ إنما تجوز في عَفْو البلاد التي لا مِلْكَ لأحدٍ عليها ولا عمارة فيها لأحد، فَيُقْطِعُ الإمامُ المُسْتَقْطِعَ منها قَدْرَ ما يتهيَّأ له عِمارَتُهُ بإجراء الماءِ إليه، أو باسْتخراج عين منه، أو بِتَحجُّرِ عليه للبناء فيه، أي: برَسْمِ حُدودها، وضَرْبِ علم عليها تُمنعَ به من غيره.

(٦) السِّجلُّ: الصَّكّ وكتابُ العُهْدة، أي: وثيقةُ المِلْكيَّة.

(٧) أُوثِر: قُدِّمَ وفُضِّل.

(٨) غَرَّهُ: خَدَعَهُ.

(٩) قال الجاحظ يذكر أنواعَ العِمَم وهيئاتِ الاعْتِمام: (للخلفاءِ عِمَّةٌ، وللفُقهاءِ عِمَّةٌ، وللبقّالين عِمَّةٌ، وللأعْرابِ عِمَّةٌ، وللُصُوصِ عِمَّةٌ، وللأبْناءِ عِمَّةٌ، وللرُّوم والنَّصارى عِمَّةٌ، ولأصْحابِ التَّشاجي عِمَّةٌ». (البيان والتبيين ٣: ٧٨)

عَنَّاكَ إليَّ. فكتب إليه بما سأله، وأعطاهُ نَفَقةً من بيتِ المالِ، وأعطاهُ دُرَيْهماتٍ من مالِهِ، فقال: اشْتَرِ بها لَحْماً».

٥١ـ اسْتِعْطافُ هُرَيْمِ بنِ أبي طَحْمَةَ المُجَاشِعيِّ ليزيدَ بنِ عبدِ الملكِ في أسْرَى يزيدَ بنِ المُهَلَّبِ بنِ أبي صُفْرَةَ الأزْديِّ

البيان والتبيين ٢: ٨٧

قالَ هُرَيْمُ بنُ أبي طَحْمَةَ ليزيدَ بنِ عبدِ الملكِ بعدَ ظَفَرِهِ بيزيدَ بنِ المُهَلَّب:

«ما رأينا أحداً ظُلِمَ[١] ظُلْمَك، ولا نُصِرَ نَصْرَك، ولا عَفَا عَفْوَكَ[٢]»!

٥٢ـ اسْتِعْطافُ الكُمَيْتِ بنِ زَيْدٍ الأَسَديِّ لهشامِ بنِ عبدِ المَلِكِ

العقد ٢: ١٨٣

والأغاني ١٧: ١١

كان الكميتُ بنُ زَيْدٍ يَمْدَحُ بني هاشمٍ، ويُعَرِّضُ ببني أميَّة، فطلَبَهُ هشامُ بنُ عبدِ الملكِ، فهربَ منه. وكان مَسْلَمةُ بنُ عبدِ الملكِ له على هشامٍ حاجةٌ في كلِّ يومٍ يَقْضِيها له، ولا يَرُدُّهُ فيها. فلما خرجَ مسلمةُ يوماً إلى بعضِ صُيُوده[٣] أتى الناسُ يُسَلِّمونَ عليه، وأتاه الكميتُ بنُ زيدٍ فيمن أتَّى، فقال: السلامُ عليك أيُّها الأميرُ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ، أمَّا بعد:

قِفْ بالدِّيارِ وُقُوفَ زائِرْ ... وتأنَّ إنَّكَ غيرُ صَاغِرْ[٤]

حتى انتهى إلى قوْلِهِ:

يا مَسْلَمَ بنَ أبي الوَلِيدِ لِمَيِّتٍ ... إنْ سِئْتَ ناشِرْ[٥]

عَلِقَتْ حبالي مِنْ حبا ... لِكَ ذِمَّةَ الجارِ المُجَاوِرْ

فالآنَ صِرْتُ إلى أميَّةَ والأمورُ إلى المَصَائِرْ[٦]

والآنَ كنتُ بهِ المُصِيبَ كَمُهْتَدٍ، بالأمْسِ حائِرْ

---

(١) ظَلَمَهُ: جار عليه.

(٢) ويقال: إنه قال له: «يا أمير المؤمنين، إنّا واللهِ ما رأينا أحداً ظُلِمَ ظُلْمَكَ، ولا نُصِرَ نَصْرَك، فافْعَل الثالثةِ نَقْلُها». يريد أن يَعْفُو عنهم حتى يتم الكلام فيقولَ: ولا عَفَا عَفْوَكَ. (البيان والتبيين ١: ٢٩٩).

(٣) الصُّيُود: جمع صَيْدٍ، وهو ما يُصَادُ، سُمِّي بالمَصْدَر.

(٤) الصاغر: الذليل.

(٥) الناشر: المُحْيي.

(٦) المصائر: جمع مصير، وهو المُنتهى والعاقبة.

فقال مسلمةُ: سُبْحانَ ا للهِ! من هذا الهِنْدِكيُّ[١] الجُلحَابُ[٢] الذي أقْبَلَ في أخرَيـاتِ الناسِ، فبدأ بالسَّلامِ، ثم أمَّا بَعْدُ، ثم الشِّعْرُ؟ قِيلَ له: هذا الكميتُ بنُ زيْدٍ. فَـأعْجبَ بـه لِفَصاحَتِهِ وبَلاغتهِ، فسألَهُ مسلمةُ عن خَبَرِه، وما كان فيه طولَ غَيْبَتِهِ؟ فذكـرَ لـه سُـخْطَ أمير المؤمنينَ عليه، فَضَمِنَ له مَسْلَمةُ أمانَهُ، وتَوَجَّهَ بهِ حتى أَدْخَلَهُ على هشامٍ، وهشامٌ لا يَعْرِفُهُ، فقال الكميتُ:

«السـلامُ عليـكَ يـا أميرَ المؤمنـينَ ورحمـةُ ا للهِ وَبركاتَـهُ، الحمـدُ للهِ مُبْتَـدِئِ الحَمْـدِ ومُبْتَدِعِهِ، الذي خَصَّ بـالحَمْدِ نَفْسَـهُ، وأمَـرَ بـه مَلائِكتَـهُ، وجَعَلَـهُ فاتحـةَ كِتابـهِ، ومُنْتَهـى شُكْرِهِ، وكلامَ أهْلِ جَنَّتِهِ. أحْمَدُهُ حَمْدَ مَنْ عَلِمَ يَقيناً، وأبْصَر مُسْتَبيناً، وأشْهَدُ بمـا شَـهِدَ بهِ لِنَفْسِهِ قائماً بالقِسْطِ[٣]، وَحْدَهُ لا شَريكَ له، وأشْهَدُ أنَّ محمداً عَبْدُهُ العربيُّ، ورَسُـولُهُ الأميُّ، أرْسَلَهُ والنَّاسُ في هَبَواتِ[٤] حَيْرَةٍ، ومُدْلَهِمَّـاتِ[٥] ظُلْمَـةٍ، عِنْـدَ اسْتِمْرارِ أبَهـةِ[٦] الضَّلالِ. فَبلَّغَ عنِ ا للهِ ما أُمِرَ به، ونَصَحَ لأمَّتِهِ، وجَاهَدَ في سَبيلِهِ، وعَبَدَ رَبَّـهُ حتـى أتـاه اليَقِينُ، ﷺ.

ثم إني يا أميرَ المُؤْمنينَ، تِهْتُ[٧] في حَيْرةٍ، وحِرْتُ في سَكْرَةٍ اذْلأَمَّ[٨] بـي خَطَرُهـا، وأهابَ[٩] بي دَاعِيها، وأجَـابني غاويهـا. فـاقْطَوْطَيْتُ[١٠] إلي الضَّلالـةِ، وتَسَـكَّعْتُ[١١] في الظُّلْمةِ والجَهالةِ، جائراً عن الحقِّ، قائلاً بِغَيْرِ صِدْقٍ. فهذا مقامُ العـائذِ، ومَنْطِـقُ التَّائبِ،

---

(١) الهِنْدِكي: الرجل من أهل الهند على التشبيه.

(٢) الجلحاب: الشيخ الكبير.

(٣) القسط: العدل.

(٤) الهبوات: جمع هَبْوة، وهي الغَبَرة، وإذا انتشرت وارتفعت في الجو عَمِيَتْ بها المسالك والْتَبَسَتْ وخفيت.

(٥) المدلهمَّات: جمع مُدْلهِمَّةٍ، وهي الشديدة السواد.

(٦) الأَبَهةُ: العَظمةُ والكِبْرُ.

(٧) تاه: تَحَيَّرَ.

(٨) ادلأم: ادلهمَّ، أي: اسْوَدَّ.

(٩) أهاب به: دعاه.

(١٠) اقْطَوْطَى: قاربَ خطوَهُ مع النَّشاط، أي: أسرع.

(١١) تسكَّع: تَحَيَّرَ وتمادَى في الباطل.

ومُبْصر الهُدَى بعدَ طُولِ العَمَى. ثم يا أميرَ المؤمنينَ، كم من عاثرٍ أقَلْتَهُ[١] عَثْرَتَهُ[٢]، ومُجْتَرِمٍ[٣] عَفَوْتَ عن جُرْمِهِ.

فقالَ له هشامٌ، وأيْقَنَ أنّه الكميتُ: وَيْحَكَ! مَنْ سَنَّ لك الغَواية[٤]، وأهابَ بك في العَمايةِ[٥]؟

قالَ: الذي أخْرَجَ أبي آدمَ من الجنّةِ، فَنَسِيَ ولم يجدْ له عَزْماً. وأميرُ المؤمنين كَريحِ رحمةٍ أثارتْ سحاباً مُتفرِّقاً، فَلَفَقَتْ[٦] بَعْضَهُ إلى بَعْضٍ، فالْتَحَمَ فاسْتَحْكَمَ[٧]، وهَدَرَ[٨] رَعْدُهُ، وتلألأ بَرْقُهُ، فنزلَ الأرضَ، فَرَوِيَتْ واخْضَلَّتْ[٩]، واخْضَرَّتْ، وأسْقِيَتْ، فَرَوِيَ ظَمْآنُها، وامْتَلأَ عَطْشَانُها. فكذلك نَعُدُّك أنت يا أميرَ المؤمنينَ، أضاءَ اللهُ بك الظُّلْمةَ الدَّاجيَةَ[١٠] بعدَ الغُموسِ[١١] فيها، وحَقَنَ[١٢] بك دماءَ قَوْمٍ أشْعَرَ[١٣] خَوْفُكَ قُلُوبَهُمْ، فهم يَبْكُونَ لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ حَزْمِك[١٤] وبَصِيرَتِك[١٥]. وقد عَلِمُوا أنك الحَرْبُ وابنُ الحَرْبِ، إذا احْمَرَّتِ الحَدَقُ[١٦]، وعَضَّتِ[١٧]

---

(١) أقاله: صفح عنه.

(٢) العثرة: الزَّلة والسَّقْطَةُ.

(٣) المجترم: المذنب.

(٤) الغواية: الضلالة.

(٥) العماية: الضلال واللجَّاجة في الباطل.

(٦) لَفَقَ الثوبَ: ضَمَّ شقةً إلى أخرى فخاطها.

(٧) استحكم: صار مُحكماً وثيقاً.

(٨) هدر: قَصَفَ واشتد صَوْتُهُ.

(٩) اخضل: ابْتَلَّ.

(١٠) الداجية: الحالكة السواد.

(١١) الغموس فيها: الدخول والارْتماءُ فيها.

(١٢) حقن دمه: منعه أنْ يُسْفَكَ، وَحَلَّ به القَتْلُ فأنْقَذَهُ.

(١٣) أشعرَ خوفُك قلوبهم: غَشِيها ولاَبَسها وخالطها.

(١٤) الحزم: ضبط الرجل أمرَه، والأخذ فيه بالثِّقَةِ، والحَذَرُ من فَوَاتِهِ.

(١٥) البصيرة: الفطنة.

(١٦) احْمَرَّتِ الحَدَق: كني بذلك عن شدة الحرب وهَوْلها.

(١٧) عَضَّت: لَصِقَتْ وأثَّرتْ وجَرَحت.

المَغافِرُ[١] بالهَامِ[٢]، عَزَّ[٣] بأسُكَ[٤]، واسْتَرْبَطَ[٥] جأشُكَ[٦]، مِسْعَارٌ[٧] هَتَّافٌ[٨] وَكَّافٌ[٩]، بَصِيرٌ بالأعْداءِ، مُغزي[١٠] الخَيْلَ بالنَّكْراءِ[١١]، مُسْتَغْنٍ برأيِهِ عن رأي ذَوي الألْبَابِ بِرَأْيٍ أَرِيبٍ[١٢]، وحِلْمٍ مُصِيبٍ. فأطالَ اللهُ لأميرِ المؤمنينَ البَقاءَ، وتَمَّمَ عليه النَّعْماءَ، ودَفَعَ بهِ الأعداءَ».

فَرضِيَ عنه هِشَامٌ، وأمَرَ له بجَائزةٍ.

٥٣ـ اسْتِعْطَافُ أعرابيٍّ لهشامِ بنِ عبدِ المَلِكِ

أنساب الأشراف ٨: ٤٠٧

«دَخَلَ أعربيٌّ على هشامٍ في غُمارِ[١٣] الناس، فقالَ هشامٌ لحاجبِهِ، أَكُلُّ مَنْ شاءَ أنْ يَدْخُلَ دَخَلَ؟ فقال الأعرابيُّ: يا أميرَ المؤمنينَ، إنَّ دُخُولي عليك لا يَنْقُصُ من قَدْرِكَ، وهو يَزِيدُ في قَدْري. فقال: لا بأس إذاً، أذْكُرْ حَاجَتَكَ. فَتظلَّمَ مِنْ وَاليهم، فَكَتَبَ بإنْصافِهِ».

---

(١) المغافر: جمع مغفر، وهو حِلَقٌ يجعلها الرجل أسفل البيضة تُسْبَغُ على العنق فتقيه.

(٢) الهام: جمع هامة، وهي الرأس.

(٣) عَزَّ: عَظُمَ وازداد.

(٤) البأس: الشِّدَّة.

(٥) استربط: اشتد وقوي.

(٦) الجأش: القلب.

(٧) مسعار: أي: يُوقِدُ الحربَ ويُؤَجِّجُها.

(٨) هتاف: من هتفَ به إذا ناداه ودعاه. والمراد أنه يقود أصحابه ويأمرهم.

(٩) وكّاف: هَطّالٌ. والمراد أنه جواد واسع المعروف، كثير الخير كأنه الغيث المدرار.

(١٠) مغزي الخيل: الذي يأمرها بالغزو وشَنِّ الغارة.

(١١) النكراء: الشدة. والمراد الغارة الشديدة.

(١٢) الأريب: الذي فيه دهاء.

(١٣) غُمارُ النّاس: زَحْمَتُهم وكَثْرتُهم وجَمَاعَتُهم.

٥٤ـ اسْتِعْطافُ الأحْنَفِ بنِ قَيْسٍ التَّميميِّ لعُبَيْدِ ا للهِ بنِ زيادٍ في تَخْلِيةِ سَبيلِ عُبَيْدِ ا للهِ بنِ الحُرِّ الجُعْفِيِّ

أنساب الأشراف ١٢: ٣٣٧

«كانَ ابنُ زيادٍ حَبَسَ عُبَيْدَ ا للهِ بنَ الحُرِّ الجعفيَّ، فتكلَّمَ فيه الأحنفُ، فأطلَقَهُ. فأتاهُ فقالَ له: أنا طَلِيقُكَ عبيدُ ا للهِ بنُ الحُرِّ، وما أدري ما مُكافأتُكَ إلاَّ أنْ أقْتُلَكَ، فأَبُوءَ[1] بإثْمِكِ، فتدخلَ الجنَّةَ، وأدخلَ النَّارَ! فضحكَ الأحنفُ، وقال: لا حاجةَ لنا في مكافأتِك»!!

٥٥ـ اسْتِعْطَافُ الأحْنَفِ بنِ قَيْسٍ التَّميميِّ لعُبَيْدِ ا للهِ بنِ زيادٍ في تَخْلِيةِ سبيلِ ابنِ رأسِ البَغْلِ

أنساب الأشراف ١٢: ٣٣٧

«كَلَّمَ الأحنفُ ابنَ زيادٍ في ابنِ رأسِ البَغْلِ، وكان محبوساً في خراجٍ، فأطلقَهُ. واستأنف[2] به أجلاً، ثم حملَ المالَ وبعثَ إلى الأحنفِ بعشرةِ آلافِ درهمٍ، وهدايَا من عَسَلٍ وَسَمْنٍ وجَوْزٍ. فردَّ الدَّراهمَ، وقال: لا آخذُ على المعروفِ ثمناً، وقَبِلَ الهدايا».

٥٦ـ اسْتِعْطافُ الأحْنَفِ بنِ قَيْسٍ التَّميميِّ لِمُصْعَبِ بنِ الزُّبَيْرِ في قَوْمٍ حَبَسَهم

أنساب الأشراف ١٢: ٣١٢

وعيون الأخبار ١: ١٠٢

وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٧: ٢٤

ونهاية الأرب ٧: ٢٣٨

وسيرة أعلام النبلاء ٤: ٩٤

حَبَسَ مُصْعَبُ بن الزُّبَيْرِ قوماً، فقالَ له الأحنفُ بنُ قَيْسٍ:

«أصْلَحَ ا للهُ الأميرَ، إنْ كُنْتَ حَبَسْتَهمْ بباطلٍ فالحَقُّ يُخْرِجُهُم، وإنْ كُنْتَ حَبَسْتَهُمْ بحقٍّ فالعَفْوُ[3] يَسَعُهُمْ»!

قالَ: صَدَقْتَ، وأخْرَجَهُمْ.

---

(١) باءَ بإثمه: احْتَمَلَهُ، وكانت عليه عقوبَتُهُ.

(٢) اسْتأنَفَ: اسْتَقْبَلَ.

(٣) العَفْوُ: التَّجاوز عن الذَّنْبِ، وتَرْكُ العقابِ عليه.

٥٧ـ اسْتِعْطافُ رَجُلٍ من أصْحَابِ المُخْتارِ الثَّقَفِيِّ لِمُصْعَبِ بنِ الزُّبَيْرِ

عيون الأخبار ١: ١٠٣

أَخَذَ مُصْعَبُ بنُ الزُّبَيْرِ رجلاً من أصحابِ المختارِ، فأمرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ، فقال:

«أيُّها الأميرُ، ما أقبحَ بكَ أنْ أقومَ يومَ القيامةِ إلى صُورَتِك هـذهِ الحَسَنةِ، وَوَجْهِكَ هذا الذي يُسْتَضاءُ بِهِ، فأتَعَلَّقَ بأطْرَافِكَ، وأقولَ: أي ربِّ، سلْ مُصْعباً فِيمَ قتلني»؟

قالَ: أطلقوه. قال: اجْعَلْ ما وَهَبْتَ لِي من حياتي في خَفْضٍ[١]. قال أعْطُوهُ مائةَ ألف. قال: بأبي أنتَ وأمِي، أُشهدُ الله أنَّ لابنِ قَيْسٍ الرُّقَياتِ منها خَمْسِينَ ألفاً! قال: ولِمْ؟ قال: لِقَوْلِهِ فيكَ[٢]:

إنَّما مُصْعَبٌ شِهابٌ[٣] من اللـ ـه تَجلَّتْ عن وَجْهِهِ الظَّلْماءُ[٤]
مُلْكُهُ مُلْكُ رَحْمَةٍ ليس فيه جَبَرُوتٌ[٥] يُخشَى ولا كبرياءُ[٦]
يَتَّقِي الله في الأُمورِ وقد أفـ ـلَحَ مَنْ كانَ همَّهُ الاتقاءُ

فَضَحِكَ مُصْعَبٌ، وقال: أرَى فيكَ موضعاً للصَّنِيعةِ[٧]، وأَمَرَهُ بِلُزُومِهِ، وأحسنَ إليه. فلم يزلْ معه حتى قُتِلَ».

---

(١) الخَفْضُ: الدَّعَةَ والسَّعَةُ ولِينُ العَيْشِ.

(٢) الأبيات من قصيدة مشهورة لابن قيسٍ الرُّقيات في مدح مصعب بن الزبير. (ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ص: ٩١).

(٣) الشهاب: القبس والشعلة الساطعة من النار.

(٤) الظلماء: الظُّلمة. وقد يوصف بها فيقال: ليلة ظلماء: أي: مظلمة.

(٥) الجبروت: الكِبْرُ والعُتُوُّ والقَهْرُ.

(٦) الكبرياء: العظمة.

(٧) فلانٌ صنيعة فلانٍ وصَنِيعُهُ: إذا اصْطَنَعَهُ وأدَّبهُ وخَرَّجَهُ وَرَبَّاه.

٥٨ـ اسْتِعْطَافُ قُتَيْبَةَ بنِ مُسْلِمٍ البَاهِلِيِّ للحجَّاجِ بنِ يُوسُفَ في أسَارَى عبدِ الرحمنِ بنِ مُحمَّدِ بن الأشعثِ الكِنْدِيِّ

أنساب الأشراف ٧: ٢٢٢، ١٣: ٢٣٥
و البيان والتبيين ٢: ٨٧
وعيون الأخبار ١: ١٠٢
والعقد ٢: ١٨٧
وبهجة المجالس ١: ٣٧١

أرَادَ الحجَّاجُ قَتْلَ مَنْ بَقِيَ في ديوانِ ابنِ الأشْعَثِ من أصْحَابِهِ حينَ ظَفرَ بهم، فقالَ له قُتَيْبَةُ بنُ مسلمٍ:

«أصْلَحَ ا للهُ الأميرَ، إنّ ا لله قد أعْطَاكَ ما تُحِبُّ من الظَّفرِ، فأعْطِهِ ما يُحِبُّ من العَفْوِ».

فبلغ ذلك عبدَ الملكِ، فقال: للهِ دَرُّ قُتَيْبَةَ! لقد أبْلَغَ في المَوْعظةِ، ولقد أحْسَنَ الحجاجُ في القبول[1].

٥٩ـ اسْتعطافُ عبدِ الرحمنِ بنِ سَهْلٍ للحجَّاجِ بنِ يُوسُفَ الثَّقَفيِّ في أبي الطُّفَيْلِ عامرِ بنِ واثلةَ اللَّيْثيِّ

أنساب الأشراف ١٣: ٤١٥

«حَبَسَ الحجَّاجُ أبَا الطُّفَيْلِ عامَر بنِ واثلةَ اللَّيثيَّ، فَكلَّمَهُ فيه عبدُ الرحمنِ بنُ سَهْلِ ابن عَمْرٍو، وأمَّ عبدِ الرحمنِ بنتُ أبي الضُرَيْسِ من بني ليثٍ. فقال للحجَّاجِ: هَبْ لي خالي، وكانَ عبدُ الرحمن صِهْرَ الحجَّاجِ، كانت ابنتُهُ أمُّ سَلمة عندَ الحجَّاجِ، فأخرجَهُ الحجاجُ. فقال له عبد الرحمن: يا أبَا الطُّفَيْلِ، أنا أحَبُّ إليك أم حُسَيْنٌ؟ قال: أعْفِني[2]. قال: لا أُعْفِيكَ. قال: أما إذْ أبَيْتَ فما وَلَدَتْ ابنةُ رسول ا لله ﷺ وسلم أحَبُّ إليَّ مما وَلَدَتْ ابنةُ أبي الضُّرَيْسِ»!

---

(١) نسبت القصة إلى عبدِ الملك بنِ مَرْوانَ ورجاءِ بن حَيْوةَ الكِنْدِيِّ. (البيان والتبيين ٢: ٨٧، وبهجة المجالس ١: ٣٧١).
ونُسِبَتْ أيضاً إلى عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ورجاء بن حَيْوَة. (عيون الأخبار ١: ١٠٢، والعقد ٢: ١٨٧).

(٢) أعْفِني: دَعْني. والاسْتِعْفَاءُ: أن تَطْلُبَ إلى من يُكَلِّفُكَ أمراً أنْ يُعْفِيَكَ منه، يقال: أعفني من الخروج معك، أي: دَعْني منه.

٦٠ـ اسْتِعْطافُ ابنِ القِرِّيَّةِ الهِلاَلِيِّ للحجَّاجِ بنِ يُوسُفَ

البيان والتبيين ١: ٢٧٦
وعيون الأخبار ١: ١٠٢
وتاريخ الرسل والملوك ٦: ٣٨٥
وزهر الآداب ٢: ٩٠٦
والكامل في التاريخ ٤: ٤٩٨
ووفيات الأعيان ١: ٢٥٣

كان ابنُ القِرِّيَّةِ ممن قُبِضَ عليه من فَلِّ عبد الرحمنِ بنِ محمدِ بنِ الأَشْعثِ الكِنْدِيِّ، وحُمِلَ إلى الحجَّاجِ بن يوسفَ. فلما دَخَلَ على الحجَّاجِ قالَ له: ما أَعْدَدْتَ لهذا الموقف؟ قال: ثلاثةُ حروفٍ، كأنهن رَكْبٌ وُقُوفٌ: دُنْيَا، وآخرةٌ، ومَعْروفٌ. أمَّا الدنيا فمالٌ حاضرٌ يأكلُ منه البَرُّ والفاجرُ، وأمَّا الآخرةُ فميزانٌ عادِلٌ، ومَشْهَدٌ ليس فيه باطلٌ، وأمَّا المَعْرُوفُ فإنْ كان عَلَيَّ اعْتَرَفْتُ، وإنْ كان لي اغْتَرَفْتُ. فلما هَمَّ الحجَّاجُ بقَتْلِه قال له ابنُ القِرِّيَّةِ:

«أَقِلْنِي[١] عَثْرَتي[٢]، وأَسِغْنِي[٣] رِيقي، فإنّه لا بُدَّ للجوادِ من كَبْوةٍ[٤]، وللسَّيْفِ من نَبْوةٍ[٥]، وللحليمِ من هَفْوَةٍ[٦] ».

فقالَ الحجاجُ: كلاَّ، وا للهِ حتى أُورِدَكَ جَهَنَّمَ. ألستَ القائلَ برُسْتَقُبَاذ[٧]: تَغَدَّوا الجَدْيَ قبلَ أنْ يَتعشَّاكم! قال: فَأَرِحْني، فإنّي أجِدُ حَرَّها. فأمَرَ به، فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ.

---

(١) أَقَالَه: صَفَحَ عنه.

(٢) العثرة: الزَّلّة والسَّقْطَةُ.

(٣) أسِغْني ريقي: أمْهِلْني ولا تُعْجِلْني.

(٤) الكَبْوة: من كبا إذا عَثَرَ وانكَبَّ على وَجْهِهِ.

(٥) النَّبْوة: من نَبَا السيف إذا كَلَّ و لم يقطع.

(٦) الهَفْوة: السَّقْطَةُ والزَّلّة.

(٧) رُسْتَقُبَاذ: بلدة من أرضِ دَسْتُوَا من نواحي الأهواز.

٦١ـ اسْتِعْطَافُ ابنِ سُلَكَةَ للحجَّاجِ بنِ يُوسُفَ

العقد ١: ٣٠، ٥: ١٥

وَرَدَ على الحجَّاجِ بنِ يُوسُفَ عبدُ الرَّحمنِ بنُ فِرْعَوْنَ المَعْروفُ بابنِ سُلكةَ، فقال:

«أصلحَ ا للهُ الأميرَ، أرْعِني[1] سَمْعَكَ، واغضُض[2] عنّي بَصرَكَ، واكْفُفْ عنّي غَرْبَكَ[3]، فإنْ سمعتَ خطأً أو زَللاً فدُونَك والعُقُوبةَ. قال: قل. فقال: عَصَى عاصٍ من عُرْضِ[4] العَشيرة، فحُلِّقَ[5] على اسْمي، وهُدِمَ منزلي، وحُرِمْتُ عطائي. قال: هيهات! أوَما سمعتَ قولَ الشاعِرِ[6]:

جَانِيكَ مَنْ يَجْنِي عليكَ وقَدْ ... تُعدِي الصِّحَاحَ[7] مَبَارِكُ الجُرْبِ

ولَرُبَّ مأخوذٍ بذَنْبِ عَشيرةٍ ... ونَجَا المُقارِفُ[8] صاحبُ الذَّنْبِ

فقال: أصلحَ ا للهُ الأميرَ، إني سمعتُ ا لله عزَّ وجلَّ يقول غيرَ هذا. قال: وما ذاك؟ قال: قال ا لله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٧٨ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ﴾[يوسف: ٧٨ـ٧٩]. قال الحجَّاج: عليَّ بيَزِيدَ بنِ أبي مُسْلم. فمَثَلَ بينَ يَدَيْهِ. فقال: افكُكْ[9] لهذا عن اسمه، واصكُكْ[10] له بعطائه، وابْنِ له منزلَه، ومُرْ منادياً ينادي: صدَق ا لله وكذَب الشاعر.

---

(١) راع: عاد ورجع. والمراد أصْغِ إليَّ واسْتَمِعْ لي. ويروى: «أعِرْني». والمعنى وَاحدٌ.

(٢) غَضَّ بَصَرَهُ: كَفَّهُ وخَفَضَهُ وكَسَرَهُ.

(٣) الغَرْبُ: حِدَّةُ اللِّسان.

(٤) من عُرْضِ العشيرة: أي: من عَامَّتِها.

(٥) حُلِّقَ على اسْمِه: أُبْطِلَ رِزْقُهُ، أي قُطِعَ عطاؤه.

(٦) البيتان لذُؤَيب بن كعبِ بن عمرٍو التميميِّ. (نقائض جرير والفرزدق ٢: ١٠٢٥، والعقد ٥: ٢٣٧).

(٧) الصِّحاح: السَّليمة.

(٨) المُقَارِف: من قارفَ الذَّنْبَ إذا دَانَاهُ ولاَصَقَهُ وخَالَطَهُ.

(٩) فَكَّ عن اسْمِهِ: أعاد إليه رِزْقَه، أي أجْرَى عليه عطاءه.

(١٠) صَكَّ له بعطائِهِ: كَتَبَ له به، من الصَّكِّ، وهو الكتاب. وكانت الأرزاق تُسَمَّى صِكاكاً، لأنها كانت تُخْرَجُ مَكْتُوبةً، وذلك أنَّ الأمراء كانوا يَكْتُبُونَ للنَّاس بأرزاقِهم وأعْطياتهم كُتُباً.

٦٢ـ اسْتِعْطافُ امرأةٍ للحجَّاجِ بنِ يُوسُفَ الثَّقَفيِّ في رَدِّ ابْنِها من الثَّغْرِ

أنساب الأشراف ١٣: ٣٧٨

«أتتِ الحجَّاجَ امرأةٌ فَمَثلتْ[١] بينَ يَدَيْهِ، كأنها عَجُولٌ[٢] أخطأتْ[٣] بَوَّها[٤]، فقالتْ: وا اللهِ ما لنا ثاغيةٌ[٥]، ولا راغيةٌ[٦]، ولا آنَّةٌ[٧]، ولا حانَّةٌ[٨]، ولا هُبَعٌ[٩]، ولا رُبَعٌ[١٠]. ولي ابنٌ في بَعْثِ[١١] كذا، فإنْ رأى الأميرُ أنْ يُقفِلَهُ[١٢] فعلْ. فقال: نعم، اقْفِلُوا ابنَها، وقُولُوا لـه: لعنةُ اللهِ عليك إنْ لم تَبرَّها[١٣]. فأقْفَلَ، فاسْتَبْطأتْهُ في بعضِ الأمرِ، فقالت:

فـوا للهِ لـولا اللهُ والرَّحْـمُ[١٤] بينَنـا لا نبـأتُ حَجَّاجـاً بـأنَّكَ كـاذبُ»!

٦٣ـ اسْتِعْطافُ الحَسنِ البَصْريِّ للحكَمِ بنِ أيُّوبَ الثَّقَفيِّ في عليِّ بـن زَيْـدِ بـنِ جُدعَانَ القُرشيِّ

أنساب الأشراف ١٣: ٣٩٧

---

(١) مَثَلَتْ بينَ يَدَيْهِ: انْتَصَبَتْ قائمة.

(٢) العَجُولُ من النساءِ والإبل: الوَالهُ التي فَقَدت وَلَدَها، الثَّكْلَى لِعَجلَتِها في حَيْنَتِهَا وذَهابِهَا جَزَعاً.

(٣) أخطَأتْهُ: فَقَدَتْهُ ولم تَجِدْهُ، أو ضَيَّعَتْهُ ولم تُصِبْهُ.

(٤) البَوُّ: الحُوارُ، وهو ولد الناقة من حين يُوضَعُ إلى أن يُفْطَمَ ويُفْصَلَ، فإذا فُصِلَ عن أمِّه فهو فَصِيلٌ.

(٥) الثاغية: الشَّاةُ.

(٦) الراغية: الناقة. يقال: ما لفلانٍ ثاغيةٌ ولا راغيةٌ، أي: شاةٌ ولا ناقة.

(٧) الآنة: الشاة.

(٨) الحانة: الناقة. يقال: ما لَهُ حانَّةٌ ولا آنَّةٌ، أي: ناقة ولا شاةٌ.

(٩) الهُبَعُ: الفَصِيلُ الذي يُنْتَجُ في الصَّيْفِ.

(١٠) الرُّبَعُ: الفصيلُ الذي يُنْتج في الرَّبيع. يقال: ما لَهُ هُبَعٌ ولا رُبَعٌ، أي: فصيل صَيْفِيٌّ ولا رِبْعِيٌّ.

(١١) البَعْثُ: الجند يُبْعَثُون للثَّغْرِ، أي: يُوَجَّهُونَ للغَزْوِ.

(١٢) أقْفَلَهُ: رَدَّه وأعادَهُ وأرْجَعَهُ.

(١٣) بَرَّ أمَّه: وَصَلَها ولم يَعُقْها.

(١٤) الرَّحِمُ: القَرابَةُ.

«قالَ مالكُ بنُ دينارٍ: حَبَسَ الحكمُ بنُ أيوبَ الثقفيُّ[١] عليَ بنَ زيدِ بنِ جُدعانَ[٢]، والحسنُ يومئذٍ مُسْتَخْفٍ، ونحنُ معه مُسْتَخْفُونَ. فأتاه الحسنُ ليلاً وأتيناه، فأذنَ له، وأجلسَهُ معه على السَّريرِ، فما كُنَّا عندَ الحسنِ إلاَّ مثلَ الفَراريجِ، فذكرَ يوسفَ النبيَّ عليه الصلاةُ والسلامُ، وإخوتَه، فقال: باعُوا أخاهم، وحَزَنُوا[٣] أباهُمْ، ومكانهُ مِنَ اللهِ مكانُهُ. ثم لقيَ يوسفَ ما لقيَ من الحبسِ وكيدِ[٤] النساءِ. ثم أدالهُ[٥] منْهم، ورَفعَ ذكرَه[٦] وأعْلَى كَعْبَهُ[٧]، وجَعلَهُ أميناً على خزائنِ الأرضِ. فلمَّا أكملَ له أمْرَهُ، وَجَمعَ أهلَهُ، وأتاهُ بأبويْهِ، وأقرَّ عينه[٨]، قالوا: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف: ٩١ - ٩٢]. قال الحكمُ: وأنا أقولُ لا تَثْريبَ[٩] عليكم، لو لم أجدْ إلاَّ ثوبي هذا لَوارَيْتُكُمْ به[١٠]، وأطلقَ علياً».

---

(١) الحكمُ بنُ أيوبَ بنِ الحكمِ بنِ أبي عقيلٍ الثقفيُّ، ابنُ عم الحجَّاجِ بن يوسف. وكان عاملهُ على البصرةِ وهو على العراق. (تاريخ الرسل والملوك ٦: ٢٠٩، ٢٧٩، ٣٤٠، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤: ٣٩٢).

(٢) عليُّ بن زيدِ بنِ جُدْعانَ التَّيميُّ القُرَشيُّ المكيُّ البصريُّ المكفوف، كان كثيرَ الحديثِ، وفيه ضَعْفٌ، ولا يُحْتَجُّ به. ويقال: بل كان من أوْعيةِ العلم على تَشيُّعٍ قليلٍ فيه، وسُوءِ حِفظٍ يَغُضُّهُ من درجةِ الإتقان. روى عن الحسن البصريِّ، وكان صديقاً له، وكان الحسنُ يَختبئ عنده في الشدائد، ولما توفي الحسنُ جلسَ مكانه. مات سنة إحدى وثلاثين ومائةٍ. (طبقات ابن سعد ٧: ٢٥٢، وطبقات خليفة بن خياط ١: ٥١٧، والتاريخ الكبير ٣: ٢: ٢٧٥، والمعارف ص: ٤٧٥، ٥٨٨، والجرح والتعديل ٣: ١: ١٨٦، وتهذيب الكمال ٢٠: ٤٣٤، وتاريخ الإسلام ٥: ١١١، وسير أعلام النبلاء ٥: ٢٠٦، وميزان الاعتدال ٣: ١٢٧، وتذكرة الحفاظ ١: ١٤٠، وتهذيب التهذيب ٧: ٣٢٢، وتقريب التهذيب ٢: ٣٧، وشذرات الذهب ١: ١٧٦).

(٣) حَزَنَهُ الأمرُ وأحْزَنَهُ: أوْقَعَهُ في الحُزْن، أي: هَمَّهُ وغَمَّهُ، وحَزَنَهُ لغة قُريشٍ، وأحْزَنَهُ لغةُ تميمٍ.

(٤) الكيد: المكر والخبث.

(٥) أدَالَه منهم: نَصرَهُ عليهم.

(٦) الذِّكْرُ: الصِّيتُ والشرف، أي: أعْلَى قَدْرَهُ ومنزلته.

(٧) يقال: أعْلَى اللهُ كَعْبَهُ، أي: أعْلَى جَدَّه. ويقال: أعْلَى اللهُ شَرَفَهُ. قال ابن منظور: وفي حديث قَيْلَةَ: «واللهِ لا يزالُ كَعْبُكِ عالياً»، هو دعاءٌ لها بالشرف والعُلُوِّ. (اللسان: كعب). وقال أيضاً: وفي حديثٍ قَيْلَةَ: «لا يزالُ كَعْبُكِ عالياً»، أي: لا تزالين شريفةً مرتفعةً على مَنْ يعاديك. (اللسان: علا). ويقال: ذهبَ كعبُ القومِ إذا ذهبَ جَدُّهم وشرفهم. (أساس البلاغة: كعب).

(٨) أقَرَّ عينَهُ: سَرَّهُ وأفْرَحَهُ.

(٩) التثريب: اللَّوْمُ والتَّعْييرُ.

(١٠) وَارَاهُ: أخْفَاهُ وسَتَرَهُ.

٦٤ـ اسْتعطافُ أبي مِجْلَزٍ السَّدُوسيِّ لِقُتيبةَ بنِ مُسْلمٍ الباهليّ

العقد: ٢: ١٥٦

لَمَّا اتَّهَمَ قُتَيْبةُ بنُ مُسْلِمٍ أبا مِجْلَزٍ على بَعْضِ الأمْرِ، قال:

«أصْلَحَ ا للهُ الأَمِيرَ! تَثَبَّتْ[١]، فإنَّ التَّثَبُّتَ نِصْفُ العَفْوِ[٢] ».

٦٥ـ اسْتِعْطافُ عَامِرِ بنِ شُراحِيلَ الشَّعْبيِّ لِعُمرَ بنِ هُبَيْرَةَ الفَزَاريِّ في رَجُلٍ أرادَ قَتْلَهُ

بهجة المجالس ١: ٣٤٧

دَخَلَ الشَّعْبيُّ على عُمَرَ بنِ هُبَيْرَةَ وبَيْنَ يَدَيْهِ رَجُلٌ يُرِيدُ قَتْلَهُ، فقال:

«أصْلَحَ ا للهُ الأمير، أنتَ على فِعْلِ ما لم تَفْعَلْ أقدرُ منك على ما فَعَلْتَ، ولأن تَنْدَمَ على العَفْوِ[٣] خيرٌ من أن تَنْدَمَ على العُقُوبةِ».

قال: صَدَقْتَ يا شعبيُّ. وأمر بالرَّجُلِ إلى السِّجْنِ.

٦٦ـ اسْتِعْطَافُ عَامِرِ بنِ شُراحِيلَ الشَّعْبيِّ لعمرَ بنِ هُبَيْرَةَ الفَزاريِّ في قومٍ عَزَمَ على جَلْدِهم

أنساب الأشراف ٨: ٢٧٥

«أُتِيَ ابنُ هبيرةَ بقومٍ، فأرادَ ضَرْبَهُمْ، فقال له عامرٌ الشَّعْبيُّ: أصْلَحَ ا للهُ الأميرَ، إنَّ أوَّلَ مَنْ وَضَعَ الحَبْسَ كان حليماً[٤]، فَمُرْ بِحَبْسِهم إلى أنْ تَنْظُرَ في أمْرِهم». فقالَ: صَدَقْتَ، وَحَبَسَهُمْ».

٦٧ـ اسْتِعْطافُ الحَسَنِ البَصْرِيِّ في رَجُلٍ يُقَادُ منه

عيون الأخبار ١: ١٠٤

مَرَّ الحَسَنُ البَصْرِيُّ بِرَجُلٍ يُقَادُ منه، فقالَ لِلْوَلِيِّ[٥]:

---

(١) تَثَبَّتَ في الأمْرِ والرَّأي واسْتَثْبَتَ: تأنّى فيه و لم يَعْجَلْ.

(٢) العَفْوُ: التّجاوز عن الذّنب، وتَرْكُ العقاب عليه.

(٣) العَفْوُ: التّجاوز عن الذّنب، وتَرْكُ العقابِ عليه.

(٤) الحليم: المتأنّي العاقل.

(٥) الوليُّ: وَلِيُّ القَتِيل .

«يا عبدَ الله، إنَّك لا تدري لعلَّ هذا قَتَـلَ وليَّـك وهـو لا يريـدُ قَتْلَـهُ، وأنـت تَقْتُلـهُ مُتعمِّداً، فانْظُرْ لِنَفْسِك».

قال: قد تركته لله.

(٣) خُطَبُ التَّهْنِئةِ والتَّعْزِيةِ

١ـ وُفُودُ زَحْرِ بنِ قَيْسٍ الجُعْفِيِّ على يزيدَ بنِ مُعاويةَ بِقَتْلِ الحُسَيْنِ بن عليٍّ!

تاريخ الرسل والملوك ٥: ٤٥٩

و الكامل في التاريخ ٤: ٨٣

لَمَّا قَتَلَ عبيدُ ا للهِ بنُ زيادٍ الحسينَ بنَ عليٍّ أرْسَلَ رأسَهُ ورؤوسَ أصحابهِ مع زَحْرِ بنِ قَيْسٍ إلى يزيدَ بن معاوية. فخرجَ حتى قدمَ بها الشامَ، فَدَخَلَ على يزيدَ بن معاوية، فقال له يزيدُ: وَيْلَكَ! ما وَراءَك؟ وما عِنْدَكَ؟ فقال:

«أبْشِرْ يا أميرَ المؤمنينَ بفتحِ ا للهِ ونَصْرِهِ! وَرَدَ علينا الحسينُ بنُ عليٍّ في ثمانيةَ عشرَ من أهلِ بيتهِ وستِّين من شيعتهِ. فَسِرنا إليهم، فسألناهم أنْ يَسْتسلموا ويَنْزلوا على حُكمِ الأميرِ عُبيدِ ا للهِ بنِ زيادٍ أو القتالَ؛ فاخْتَارُوا القتالَ على الاسْتِسلامِ. فَعَدْونا عليهم مع شروقِ الشَّمْسِ، فأحَطْنا بهم من كلِّ ناحيةٍ. حتى إذا أخذت السيوفُ مأخذَهَا من هامِ[١] القوم، يَهربون إلى غير وزَرَ[٢]، ويلوذون[٣] منَا بالآكامِ[٤] والحُفَرِ، لِواذاً كما لاذَ الحمَائمُ من صَقْرٍ[٥]. فوا للهِ يا أميرَ المؤمنينَ ما كان إلاّ جَزْرَ[٦] جَزورٍ[٧] أو نومةَ قائلٍ حتى أتينا على آخرهم، فهاتيك أجسادُهم مُجَرَّدةٌ[٨]، وثيابُهم مرملَّةٌ[٩]، وخُدُودهمُ مُعَفَّرَةٌ[١٠]

---

(١) الهام: جمع هامةٍ، وهي الرأس.

(٢) الوزر: الملجأ.

(٣) يلوذون: يَسْتَتِرونَ ويَسْتَخْفُون.

(٤) الآكام: جمع الجمع من أكمة، وهي ما اجتمع من حجارةٍ في مكانٍ واحدٍ.

(٥) الصقر: الطائر الذي يُصَادُ به من الجوارح.

(٦) جَزَرَ الناقة جَزْراً: ذَبَحَها وقَطَّعَها.

(٧) الجزور: الناقة.

(٨) مجردة: مُعَرَّاةٌ من الثياب.

(٩) مُرَمَّلةٌ: مُلَطَّخةٌ بالدَّم.

(١٠) مُعَفَّرة: مُتَتَرِّبةٌ، أي: مُلَطَّخةٌ بالتُّراب.

تَصهرهُم[١] الشمسُ، وتَسفي[٢] عليهم الريح، زُوَّارهم العِقْبان[٣] والرَّخم[٤] بقيٌّ[٥] سَبْسَب[٦]»!

فدمعتْ عينُ يزيدَ، وقال: قد كنت أرضَى من طاعتكم بدون قتلِ الحسين! لعن ا لله ابن سُمَيّة! أما وا للهِ لو أنّي صاحِبُهُ لعفوتُ عنه. فرحمَ ا للهُ الحسينَ! ولم يصله.

٢ ـ وُفُودُ مالكِ بنِ بشيرٍ الجرشيِّ على الحجَّاجِ بنِ يُوسُفَ بِقَتْلِ عبدِ رَبِّهِ الصَّغِيرِ

العقد ٢: ٨١
ومروج الذهب ٣: ١٥٩
وزهر الآداب ٢: ٧٨٧

لَمَّا قَتَلَ المُهَلَّبُ بنُ أبي صُفْرَةَ عَبْدَ رَبِّهِ الصَّغِيرَ بِكِرْمَانَ بعثَ إلى مالكِ بنِ بَشيرٍ، فقال لـه: إني مُوفِدُكَ إلى الحجَّاج فَسِرْ، فإنما هو رَجُـلٌ مِثْلُـكَ، وبَعَـثَ إليـه بجـائزةٍ، فرَدَّهـا وقَـالَ: إنَّمـا الجائزةُ بعدَ الاسْتِحْقاق، وتَوَجَّه.

«فلمَّا دخلَ إلى الحجَّاجِ قالَ له ما اسْمُكَ؟ قال: مالِكُ بنُ بَشيرٍ. قالَ: مُلْكٌ وبشارةٌ! كيفَ تركتَ المُهلَّبَ؟ قال: أَدركَ ما أمَّلَ وأَمِنَ ما خَافَ. قـال: كيـفَ هـو بجُنـدِهِ؟ قـال: والدٌ رَؤوفٌ. قال: فيكف جُندهُ له؟ قال أولادٌ بَـررَةٌ. قـال: كيـف رِضـاهم عنـه؟ قـال: وَسِعهم بالفَضْلِ وأقْنَعَهُمْ بالعَدلِ. قال: فكيف تَصْنَعُونَ إذا لَقيتم عَدُوَّكم؟ قـال: نَلقـاهم بجَدِّنا[٧] فنطمع فيهم، ويَلْقوننا بجَدِّهم فيطمعـون فينـا. قـالَ: كذلـك الجَـدُّ إذا لقـي الجَدَّ. قال: فما حالُ قَطريٍّ؟ قال: كادَنا ببعـض مـا كِدْنـاه. قـال: فمـا منعَكـم مـن اتّباعِهِ؟ قال: رأينا المُقامَ من ورائهِ خيراً من اتّباعه. قال: فأخبرني عـن ولـدِ المُهلَّـبِ.

---

(١) صَهَرَتْهُ الشمسُ: اشتدَّ وَقْعُها عليه وحَرُّها حتى أَلِمَ دِمَاغُهُ وانصهر.
(٢) تَسْفي عليهم الريحُ: تَحْمِلُ التُّرابَ وتَذْرُوهُ عليهم.
(٣) العقبان: جمع الجمع من العقاب، وهي من عتاق الطير التي تصيد.
(٤) الرَّخَم: نوعٌ من الطير، واحدَتُهُ رَخَمَة، وهو موصوفٌ بالغَدْرِ والمُوقِ، أي: الحُمْق.
(٥) القيُّ: الأرض القَفْرُ الخالية.
(٦) السبسب: القَفْرُ والمَفَازةُ.
(٧) حَدُّ الرَّجُلِ: بأسُهُ ونفاذُهُ في نَجْدَتِهِ.

قال: أعْباء[١] القِتالِ بالليل، حُماةُ السَّرْحِ[٢] بالنَّهارِ. قال: أيُّهم أفْضَلُ؟ قال: ذلك إلى أبيهم. قال: لتقولَنَّ. قال: هم كَحَلْقة مضروبة لا يُعرف طَرَفاها».

قال: أقسمتُ عليك، هل روَّأت[٣] في هذا الكلام؟ قال: ما أطلعَ اللهُ على غَيْبِهِ أحداً. فقال الحجاجُ لجُلسائِهِ: هذا والله الكلامُ المطبوعُ، لا الكلامُ المَصْنُوع.

٣ ـ وُفُودُ كَعْبِ بنِ مَعْدَانَ الأشْقَرِيِّ على الحجَّاجِ بنِ يُوسُفَ بِهَزِيمةِ الأزارِقةِ

الكامل للمبرد ٣: ٤٠٣
والأغاني ١٤: ٢٨٣
وأمالي القالي ١: ٢٦٥
وزهر الآداب ٢: ٧٨٦
وسمط اللآلي ١: ٥٨٨
والكامل في التاريخ ٤: ٤٤٠
وشرح نهج البلاغة ٤: ٢١٣
ونهاية الأرب ٣: ٢٢١

وَجَّهَ المُهَلَّبُ بنُ أبي صُفْرَةَ كَعْبَ بنَ مَعْدَانَ الأشْقَرِيَّ ومُرَّةَ بنَ تليدٍ الأزديَّ إلى الحجَّاجِ بعدَ أنْ هَزَمَ الأزارقةَ بجِيرَفْتَ من كِرْمَانَ، وقَتَلَ عَبْدَ رَبِّه الكبيرَ، وَفَرَّ قَطَرِيُّ بنُ الفُجاءةِ إلى طَبَرِسْتانَ. فلمَّا وَفَدا على الحجَّاج تقدَّم كعبٌ فأنْشَدَه:

يا حَفْصُ إنِّي عَدانِي[٤] عنكُمُ السَّفَرُ ... وقد سَهِرْتَ فأَوْدَى[٥] نَوْمِيَ السَّهَرُ

«فقال له الحجاجُ: أشاعرٌ أم خطيبٌ؟ قال: كلاهما، ثم أنشده القصيدة[٦]، ثم أقبلَ عليه فقالَ له: أخبرني عن بَني المهلبِ. قال: المغيرةُ فارِسُهم وسَيِّدُهم، وكَفَى بيزيدَ فارساً شجاعاً! وجوادُهم وسَخِيُّهم قَبيصةَ، ولا يَسْتَحْيي الشجاعُ أن يَفِرَّ مِنْ مُدْرِكٍ،

(١) أعباء: جمع عِبْءٍ، وهو العدْلُ والمِثْلُ والنَّظِير. والمراد أنهم لا يبيتُونَ، أي: لا يُؤْخَذونَ في الليلِ بَغْتَةً، لأنهم مُتَيَقِّظون مُسْتَعِدُّون.

(٢) السَّرْحُ: المالُ الرَّاعي من الإبلِ والأغنام. والمراد أنهم يَمْنَعُونَ أنفسهم ومَنْ معهم في النهار.

(٣) رَوَّأ في الأمر: نَظَرَ فيه وتَعَقَّبَهُ، ولم يَعْجَلْ بجواب.

(٤) عَدَاني: صَرَفني وشغلني.

(٥) أوْدَى بالشيء: ذهب به.

(٦) انظر القصيدة (في تاريخ الرسل والملوك ٦: ٣٠٤، والأغاني ١٤: ٢٨٤).

وعبدُ الملك سِمٌّ نَاقِعٌ[١]، وحبيب موت زَعافٌ[٢]، ومحمدٌ ليثُ غابٍ، وكفاك بالمفضَّلِ نَجْدة[٣]! قال: فكيف خَلَّفْتَ جَماعةَ الناس؟ قال: خَلَّفْتُهم بخيرٍ، قد أدركوا ما أَمَّلُوا، وأَمِنوا ما خافوا. قال: فكيف كان بَنُو المهلّب فيهم؟ قال: كانوا حماةَ السَّرْحِ[٤] نهاراً، فإذا أَلْيَلُوا[٥] فَفرسانَ البَيَاتِ[٦]. قال: فأيُّهم كان أَنْجَدَ؟ قال: كانوا كالْحَلْقَةِ المفرَغةِ، لا يُدْرَى أين طَرَفَها. قال: فكيف كنتم أنتم وعدوّكم؟ قال: كنّا إذا أخذنا عَفَوْنا[٧]، وإذا أَخَذوا يَئِسْنَا منهم، وإذا اجْتَهَدُوا واجتهدنا بلغنا فيهم آمالنا بإدراك الفرصة منهم. فقال الحجاجُ: إنَّ العاقبةَ للمتقين! كيف أفلَتَكَمْ قطريٌّ؟ قال: كِدْناهُ ببعض ما كادَنا به، فَصِرْنا منه إلى التي نُحِب. قال: فَهَلاَّ اتَّبعتُموهُ؟ قال: كان الحدُّ عندنا آثرَ من الفَلِّ[٨]. قال: فكيف كان لكم المهلب وكنتم له؟ قال: كان لنا منه شَفَقَةَ الوالدِ، وله مِنّا برُّ الولدِ. قال: فكيف اغْتِبَاط الناسِ؟ قال: فَشَا فيهم الأَمْنُ، وشَمِلَهُمُ النَّفَلُ[٩]».

قال: أَكُنْتَ أعددتَ لي هذا الجوابَ؟ قال: لا يعلمُ الغيبَ إلاَّ الله. فقال: هكذا تكونُ يا الله الرجالُ! المهلَّبُ كان أعلَمَ بك حيثُ وَجَّهَكَ.

---

(١) السم الناقع: الدائم.

(٢) الموت الزعاف: الشديد.

(٣) النجدة: الشجاعةُ والشدةُ والبأسُ والنُّصْرة.

(٤) السرح: المال الراعي من الإبل والأغنام.

(٥) أَلْيَلُوا: دخلوا في الليل.

(٦) تبييت العدو: هو أن يُقْصَدَ في الليل من غير أن يعلم فيؤخذ بَغْتَةً، والاسم البيات.

(٧) العَفْوُ من أخلاق الناس: السَّهْلُ اليَسْرُ.

(٨) كان الحَدُّ عندنا آثرَ من الفَلِّ: [illegible] (انظر كذلك خاضر [illegible] البلاغة ٤: ٢١٤).

(٩) النَّفَل: الغنيمة والعطيَّة.

٤ ـ وُفُودُ المُهَلَّبِ بنِ أبي صُفْرَةَ على الحجَّاجِ بنِ يُوسُفَ بعدَ قَضَائِهِ على الأزَارِقَةِ

الكامل للمبرد ٣: ٤٠٥

وتاريخ الرسل والملوك ٦: ٣١٩

والكامل في التاريخ ٤: ٤٤١

وشرح نهج البلاغة ٤: ٢٢٢

لَمَّا فَرَغَ المُهَلَّبُ بنُ أبي صُفْرَةَ من الأَزارِقة قَدِمَ على الحجَّاجِ بنِ يُوسُفَ، وذلك سنة ثمانٍ وسَبْعين، فأجْلَسَهُ إلى جَانِبه، وأظْهَرَ إكْرامَهُ وبِرَّهُ، وقال:

«يا أهْلَ العِراقِ، أنتم عَبيدُ المُهَلَّبِ، ثم قالَ: أنتَ وا للهِ كما قالَ لقيطٌ الإيادِيُّ[١]:

وقَلَّدوا أمركُم للهِ دَرُّكُمُ[٢] ... رَحْبَ الذِّراعِ[٣] بأَمْرِ الحَرْبِ مُضْطَلِعَا[٤]

لا يَطعَمُ النومَ إلاَّ رَيْثَ يبعَثُهُ ... هَمٌّ[٥] يكادُ حَشاهُ[٦] يَقصِمُ[٧] الضَّلَعَا[٨]

لا مُتْرَفاً[٩] إنْ رَخاءُ العيشِ[١٠] ساعَدَهُ ... ولا إذا عَضَّ مكروهٌ[١١] به خَشَعَا[١٢]

ما زالَ يَحْلُبُ هذا الدهرَ أشْطُرَهُ[١٣] ... يكونُ مُتْبِعاً طَوْراً ومُتَّبَعَا[١٤]

---

(١) الأبيات من قصيدة طويلة للقيط بن يعمر الإيادي، رواها ابن الشجري. (انظر مختارات شعراء العرب ص: ٢).

(٢) لله دَرُّه: لله عَمَلُه، يقال هذا لمن يُمْدَحُ ويُتَعجَّبُ من عمله.

(٣) رحب الذراع: واسع القوة عند الشدائد، تَسْهل عليه الأمور.

(٤) المضطلع: يريد أنه قوي على أمر الحرب مُسْتَقِلٌّ بها.

(٥) لا يطعم النوم إلاَّ ريث يبعثه همٌّ: يريد أنه لا ينام إلاَّ يسيراً حتى يَبْعَثَهُ الهم، فمعناه مقدار ذلك.

(٦) الحشى: الرَّبْو وارتعاع النفس وتواتره.

(٧) يقصم: يكسر.

(٨) الضلع: واحد الضلوع.

(٩) المترف: المُنَعَّم.

(١٠) رخاء العيش: سَعَتُهُ.

(١١) عض به مكروه: نزل به مكروه ينال منه.

(١٢) خشع: رمى ببصره نحو الأرض وغضَّهُ وخَفَضَ صوته.

(١٣) مازال يحلب هذا الدهرَ أشطره: معناه مرَّت عليه ضروب من خيره وشره.

(١٤) يكونُ مُتْبِعاً طَوراً ومُتَّبَعاً: أي: قد اتَّبعَ الناسَ فَعلِمَ ما يَصْلُحُ به أَمْرُ الناس، واتُّبِعَ فعلمَ ما يُصْلِحُ الرئيسَ.

حتى استمرَّتْ[١] على شَزْرٍ[٢] مَرِيرَتُهُ[٣] مُسْتَحْكِمَ الرأيِ[٤] لا قَحْمًا[٥] ولا ضَرَعَا[٦]

فقامَ إليه رجلٌ، فقال: أصلحَ ا لله الأمير! وا لله لكَأني أسمعُ الساعةَ قطَرِيّاً وهو يقولُ: المهلَّبُ كما قال لَقِيطٌ الإياديُّ، ثم أنشد هذا الشعرَ. فَسُرَّ الحجاجُ حتى امتلأ سروراً.

فقال المهلَّب: إنّا وا للهِ ما كنّا أشدَّ على عَدُوِّنا ولا أحَدَّ، ولكنْ دَمَغَ الحقُّ الباطلَ، وَقَهَرَتِ الجماعة الفتنة، والعاقبةُ للتَّقْوَى، وكان ما كَرِهناهُ من المُطَاوَلةِ[٧] خيراً مما أحببناهُ من العَجَلةِ. فقال له الحجاجُ: صدقتَ، اذْكُرْ لي القومَ الذين أَبْلَوْا، وصِفْ لي بَلاءَهُمْ. فأمَرَ الناسَ فكتبوا ذلك للحجَّاج، فقال لهم المهلّبُ: ما ذَخَرَ ا لله لكم خيرٌ لكم من عاجلِ الدنيا إن شاء ا لله. ثم ذكرهم للحجَّاجِ على مَرَاتِبهم في البَلاءِ وتَفاضلِهِمْ في الغَنَاء، وقَدَّمَ بَنيهِ: المُغيرَةِ، ويَزيدَ، ومُدْرِكاً، وحَبيباً، وقَبيصَةَ، والمُفَضَّلَ وعبدَ الملك، ومحمداً، وقال: إنه وا للهِ لو تَقدَّمَهُمْ أحدٌ في البلاءِ لقَدَّمْتُهُ عليهم، ولولا أنْ أظلِمَهم لأخَّرْتُهم. قال الحجاجُ: صدقتَ، وما أنتَ بأعلمَ بهم مِنّي وإنْ حضرتَ وعِبْتُ، إنهم لَسُيوفٌ من سُيوف ا لله. ثم ذكرَ مَعْنَ بنَ المغيرةِ بن أبي صُفْرَةَ والرُّقَادَ وَأشباهَهَما، فقال الحجَّاجُ: أينَ الرُّقَادُ؟ فدخَلَ رجلٌ طويلٌ أَجْنَأُ[٨]، فقال المهلَّبُ: هذا فارسُ العرب. فقال الرُّقَادُ: أيها الأمير، إني كنتُ أُقاتل مع غير المهلَّب، فكنت كبعضِ الناسِ، فلما صِرْتُ مع مَنْ يُلْزِمُني الصَّبرَ ويجعلُني أُسْوَةَ[٩] نفسِه وولدِهِ ويجازيني[١٠] على البَلاءِ، صرتُ أنا وأصحابي فُرْساناً. فأمر الحجاجُ بتفضيل قومٍ على قومٍ على قَدْرِ بلائهم، وزادَ وَلَدَ المهلَّبِ ألفين، وفعل بالرُّقَادِ وجماعةٍ شبيهاً بذلكَ».

---

(١) استمرت: قوتتْ.

(٢) الشزر: فَتْل الحبل مما يلي اليسار، وهو أشَدُّ الفتل.

(٣) المريرة من المِرَّة، وهي إحْكامُ الفتل، ثم أريد بها القوة.

(٤) استحكم رأيه: صار محكماً وثيقاً.

(٥) القَحْم: الشيخ الهِمُّ الكبير الفاني.

(٦) الضَّرَعُ: الغمْر الضعيف من الرجال.

(٧) المطاولة: المُعَالبة.

(٨) الأجنأ: أحْدَبُ الظهر.

(٩) الأسوة: المِثْلُ والنظير.

(١٠) يجازيني: يُكافئني.

٥ ـ وُفُودُ عِرَارِ بنِ عَمْرٍو الأسَدِيِّ على عَبْدِ المَلِكِ بنِ مَـرْوَانَ بِـرَأْسِ ابـنِ الأَشْعَثِ الكِنْدِيِّ

الكامل للمبرد ١: ٢٧٣
والشعر والشعراء ١: ٤٢٥
والأغاني ١١: ١٩٩
ومعجم الشعراء ص: ٢٢

لَمَّا أخذَ الحجَّاجُ بنُ يوسُفَ رأسَ عبدِ الرحمنِ بنِ مُحمَّدِ بنِ الأشْـعَثِ الكِنْـدِيِّ وَجَّـهَ بـه إلى عبدِ الملكِ بنِ مَرْوَانَ مع عِرَارِ بنِ عمرِ وبنِ شأسٍ الأسَدِيِّ، وكان أسْودَ دميماً.

«فلما وَرَدَ به عليه جَعَلَ عبدُ الملك لا يسأل عن شيء من أمر الوقعة إلاَّ أَنْبَـأَهُ بـه عِرَارٌ، في أصح لفظ، وأَشْبَعِ قول، وَأَجْزَإِ اختصارٍ. فشفاه من الخبر، ومَـلأَ أُذُنَـهُ صواباً، وعبد الملك لا يعرفه، وقد اقتَحَمَتْهُ عينه[١] حِينَ رآه، فقال متمثّلاً[٢]:

أَرَادَتْ عِـرَاراً بِـالهَوَانِ وَمَـنْ يُـرِدْ ... لَعَمْـرِي عِـرَاراً بِـالْهَوَانِ فَقَـدْ ظَلَـمْ
وَإِنَّ عِـرَاراً إِنْ يَكُـنْ غَـيْرَ وَاضِـحٍ[٣] ... فَإِنِّي أُحِبُّ الْجَوْنَ[٤] ذا المَنْكِبِ[٥] الْعَمَمْ[٦]

فقال له عِرَارٌ: أتَعْرِفني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا . قال: فأنا والله عِرَارٌ، فزاده في سُروره، وأَضْعفَ له الجائزة».

---

(١) اقتحمته عينُهُ: ازْدَراه واحْتَقَره.
(٢) البيتان لعمرو بن شأس الأسدي. (طبقات فحول الشعراء ١: ٢٠٠، والأغاني ١١: ١٩٤، وأمالي القالي ٢: ١٨٩، ومعجم الشعراء ص: ٢٢).
(٣) واضح: أبيض اللون.
(٤) الجون: الأسود المشرب حمرة.
(٥) المنكب: مجتمع رأس الكتف والعضد.
(٦) العمم: التّامُّ الخَلْق الممتلئ.

٦ ـ تَهْنِئةُ خالدِ بنِ عبدِ اللهِ القَسْريِّ لعمرَ بنِ عبدِ العزيز بالخِلافةِ

البيان والتبيين ١: ١٦٩
وعيون الأخبار ١: ٩٣
وأنساب الأشراف ٨: ١٣٧
والعقد ٢: ١٣٤

قال خالدُ بنُ عبدِ اللهِ القَسْرِيُّ لِعُمَرَ بنِ عبدِ العزيزِ لَمَّا وَلِيَ الخِلافَة:

«من كانت الخلافة زانته فقد زِنتها، ومن شرفته فقد شرفتها، فأنت كما قال الشاعر:

وَتَزِيدِيـــنَ أَطْيَـــبَ الطِّيْـــبِ طِيْبـــاً ... إنْ تَمَسِّـــيْهِ، أَيْـــنَ مِثْلُـــكِ أَيْنـــا

وَإِذَا الـــدُّرُّ زَانَ حُسْـــنَ وُجُـــوهٍ ... كـــانَ لِلـــدُّرِّ حُسْـــنُ وَجْهِـــكِ زَيْنـــا

قال عمر: إنَّ صَاحِبكم أُعْطِيَ مَقُولاً[١]، ولم يُعْطَ مَعْقُولاً[٢]»!

٧ ـ تهْنئةُ خالِدِ بنِ صَفْوَانَ المِنْقَريِّ لخالدِ بنِ عبدِ اللهِ القَسْرِيِّ

عيون الأخبار ١: ٩٧
والعقد ٢: ١٣٥
وأمالي القالي ١: ٢١٣
وزهر الآداب ٢: ١٠٠٨
وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥: ٦١

قال خالدُ بنُ صَفْوَانَ لخالدِ بنِ عبدِ اللهِ القَسْرِيِّ بعد أنْ وَلِيَ العراقَ:

«قدمتَ فأعطيتَ كلاًّ بقسطه[٣] من نَظَرِكَ ومَجْلِسكَ وصِلاتـك[٤] وعَدْلِكَ، حتى كأنَّك من كلِّ أحدٍ، أو كأنَّك لستَ من أحدٍ[٥]»!

---

(١) المقول: القول.
(٢) المعقول: العقل.
(٣) القسط: النَّصيبُ والحظ.
(٤) الصِّلات: جمع صِلَةٍ، وهي العَطِيَّة والجائزة.
(٥) يريد أنه حكمَ بينَ النَّاسِ بالعدلِ، وتَجرَّدَ من الهَوَى والعَصبيَّة.

٨ ـ تَعْزِيةُ يزيدَ بنِ مَعْنٍ السُّلَمِيِّ لمعاويةَ بنِ أبي سُفْيَانَ عن سُقُوطِ ثناياه

البيان والتبيين ١: ٦٦

«لَمَّا اشْتَدَّ[١] على مُعاويةَ سُقُوطُ مَقَادِمِ[٢] فَمِهِ قالَ له يزيدُ بنُ مَعْنٍ السُّلَميُّ: وا للهِ ما بَلَغَ أحَدٌّ سِنَّكَ إلاَّ كَرِهَ بَعْضُهُ بَعْضاً، فَفُوكَ أَهْوَنُ عَلَيْنَا من سَمْعِكَ وبَصَرِكَ. فطابَتْ[٣] نَفْسُه».

٩ ـ تَعْزِيةُ رجلٍ لمعاوية بنِ أبي سُفْيَانَ عن سِنٍّ سَقَطَتْ له

البيان والتبيين ٢: ٢٧٠

«دَخَلَ رجلٌ على مُعاويةَ، وقال سَقَطَتْ بعضُ أسْنانِهِ، فقال: يا أميرَ المؤمنينَ، إنَّ الأعْضَاءَ يَرِثُ بعضُها بَعْضاً[٤]، فالحمدُ للهِ الذي جَعَلكَ وَارِثها، ولم يَجْعَلْهَا وَارِثَتَك»!

١٠ ـ نَعْيُ الضَّحاكِ بنِ قَيْسٍ الفِهْرِيِّ لِمُعاويةَ بنِ أبي سُفْيانَ

أنساب الأشراف ٤: ١: ١٣٢
و البيان والتبيين ٢: ١٠٩
وتاريخ مدينة دمشق المصور ١٦: ٧٥٧
والبداية والنهاية في التاريخ ٨: ١٤٢

لَمَّا قُبِضَ مُعاويةُ صَعِدَ الضَحَّاكُ بن قيسٍ الفِهْرِيِّ المنبرَ، فَحَمِدَ اللهَ وأَثْنى عليه، ثم قال:

«أيُّها الناسُ، إنَّ معاوية أمير المؤمنين كان عَوْدَ[٥] العرب وَحدَّها[٦] ونابَها[٧]، قطعَ اللهُ به الفتنةَ، وجمعَ به الكلمةَ، وملّكَهُ خزائنَ[٨] العِباد، وفتحَ له البلاد. ألا وإنّه قد

---

(١) اشْتَدَّ عليه الأمرُ: كَبِرَ وشَقَّ وثَقُلَ.
(٢) مَقَادِمُ فمه: ثَناياهُ، وهي الأسنان الأربعُ التي في مقدم فمه: ثِنْتان من فوق، وثنتان من أسْفَل.
(٣) طابَتْ نَفْسُهُ: رَضِيَتْ.
(٤) في الحديث في دُعاءِ النبيِّ، ﷺ أنه قال: «اللهم أمْتِعْني بِسَمْعي وبَصَري، واجْعَلْهُما الوارثَ مني». قالَ ابنُ شميل: أي: أبْقِهما معي صَحيحَيْنِ سَليمَيْنِ حتى أموت. وقيل: أراد بقاءَهما وقُوَّتَهما عندَ الكِبَرِ، وانْحلالِ القُوَى النفسانية، فيكون السَّمْعُ والبَصَرُ وارِثَيْ سائرِ القُوى والباقِيَيْنِ بعدها. (اللسان: ورث).
(٥) العَوْدُ: الجملُ الكبيرُ المُسِنُّ المُدَرَّب. شَبَّهَ به معاوية. والمراد أنه شيخ العرب وكبيرهم ذو المعرفة والرأي.
(٦) الحد: مأخوذ من حَدِّ السَّيْفِ، وهو طرفه وشفرته. والمراد أن معاوية أمْضَى العرب وأصْلَبهُم وأشدَّهم بأساً.
(٧) الناب: سَيِّدُ القوم وكبيرهم.
(٨) مَلَّكَهُ خزائنَ العباد: ألقى إ[illegible] وأعناقهم.

مات، وهذه أكفانه ونحن مُدرجوه فيها، ثمّ مُدخلوه قبْره، ومُخَلّون بينه وبين ربه، ثمّ هو البرزخ[١] إلى يوم القيامة. فمَن كان يريد أن يشهده فليحضُر عند الظهر».

١١ ـ تَعْزِيَةُ عَطاءِ بنِ أبي صَيْفيٍّ الثَّقَفِيِّ ليزيدَ بنِ مُعَاوِيَةَ بأبيه

عيون الأخبار ٣: ٦٨
والبيان والتبيين ٢: ١٥٩
و أنساب الأشراف ٤: ١: ١٣٣، ٤: ٢: ٥
والتعازي والمراثي ص: ١٤٠
والكامل للمبرد ٤: ١١١
والعقد ٣: ٣٠٩
ومروج الذهب ٣: ٧٥

يقال: إنَّ أوّلَ مَنْ هنّأَ وعزّى في مَقامٍ واحدٍ عَطَاءُ بنُ أبي صَيْفيٍّ الثَّقَفيُّ، عَزّى يزيدَ بنَ مُعَاوية بأبيه وهنّأه بالخلافةِ، ففتحَ للناسِ بابَ الكلامِ، فقالَ:

«أصبحتَ رُزِئتَ[٢] خليفةً، وأُعطيتَ خلافةَ ا لله. قَضَى معاويةُ نحبَه، فغفر ا لله ذنبَه، ووَلِيتَ الرياسةَ، وكنتَ أحقَّ بالسياسةِ. فاحتسبْ[٣] عند ا لله أعظمَ الرزيّة[٤]، واشكرِ ا للهَ على أعظمِ العطيَّةِ. وعَظَّم ا للهُ في أمير المؤمنينَ أجرَكَ، وأحسنَ على الخلافة عَوْنَك».

١٢ ـ تَعْزِيةُ عبدِ ا للهِ بنِ هَمَّامٍ السَّلُولِيِّ ليزيدَ بنِ مُعاوِيَةَ بأبيه

مروج الذهب ٣: ٧٦
و أنساب الأشراف ٤: ١: ١٣٣
وزهر الآداب ١: ٥٣

لَمّا تُوفّيَ معاويةُ، واستُخْلِفَ يزيدُ ابنهُ، جاء عبدُ ا للهِ بنُ هَمَّامٍ فدخلَ عليه، وقال يُعَزيه بأبيهِ:

«آجرَكَ[٥] ا لله يا أمير المؤمنين على الرَزِيةِ[٦]، وصَبَّرك على المصِيبة، وبارك لك في العطية، وَمنحَك محبَّة الرعية. مضى معاويةُ لسبيلِه، غفر ا لله له، وأوردَه مواردَ السُّرورِ،

(١) في الأصل: (الهَرْجُ). والبرزخ: ما بين الدُّنيا والآخرة قبل الحشر من وقت الموت إلى البَعْث. فمن مات فقد دَخلَ البَرْزَخ.
(٢) رزئت: أُصيبت.
(٣) احْتَسَبَ المصيبةَ عندَ ا لله: طَلَبَ منه الأجْرَ عليها. ويقال: احْتَسَبَ عند ا للهِ خيراً: إذا قدّمه، ومعناه اعْتَدَّه فيما يُدَّخر.
(٤) الرزية: الوصيبة.
(٥) آجره ا لله: أثابه وأعْطاه الأجرَ والجزاء.
(٦) الرَّزية: المصيبة.

وَوَفَّقكَ بعدَهُ لصالحِ الأمور، فقد رُزِئْتَ جليلاً، وأُعْطِيتَ جَزيلاً، جنتَ بعدَهُ للرِّياسةِ، وَوليتَ السِّياسة، أُصِبْتَ بأعظم المصائبِ، ومُنِحْتَ أفضلَ الرغائبَ[1]. فاحتسب[2] عند الله أعظمَ الرَّزيةِ، واشكره على أفضل العَطِيَّةِ، وأحْدِثْ لِخَالِقِكَ حَمْداً. وا للهُ يُمَتِّعُنا بك ويَحْفَظُكَ، ويَحْفَظُ بك وعليك، وأنشأ يقول:

اصْبِرْ يزيدُ فقد فارقْتَ ذا مِقةٍ[3] ... واشكر حِبَاءَ[4] الذي بالمُلْكِ أصْفَاكا[5]

أصبَحْتَ لارُزْءَ[6] في الأقوامَ نعلمُهُ ... كما رُزِئْتَ ولا عُقْبى[7] كَعُقْبَاكا

أُعطِيتَ طاعةَ خلقِ اللهِ كلِهِمُ ... وأنتَ تَرْعَاهُمُ وا للهُ يرعاكا

وفي معاويَةَ الباقي لنَا خَلَفٌ ... إما نُعِيتَ ولا نسمع بِمَنْعَاكَا».

١٣ ـ تَعْزِيةُ محمدِ بنِ الوَليدِ بنِ عُتْبَةَ بنِ أبي سُفْيَانَ للوليدِ بنِ عبدِ الملكِ بأبيهِ

عيون الأخبار ٣: ٥٨

عَزَّى مُحمَّدُ بنُ الوليدِ بنُ عُتَبة الوليدَ بنَ عبدِ المَلك، فقال:

«يا أميرَ المؤمنينَ، لِيَشْغَلْكَ ما أَقْبَلَ من المَوْتِ إليكَ عَمَّا هو في شُغْلٍ مِمَّا دَخَلَ عليك، وأعْدِدْ لِنُزُولِهِ عُدَّةً[8] تكونُ لك حِجاباً[9] من الجَزَعِ[10] وسِتْراً[11] من النَّارِ».

---

(١) الرَّغائب: جمع رغيبة، وهي العطاء الكثير.

(٢) احتسب عند الله الرَّزية: طلب منه الأجر عليها.

(٣) المقة: المحبة.

(٤) الحباء: العَطاء.

(٥) أصفاه بالملك: آثره به واختصَّه.

(٦) الرزء: المصيبة بفقد الأعزَّة.

(٧) العقبى: جزاء الأمر.

(٨) العُدَّة: ما أُعِدَّ لأمْرٍ يَحْدُثُ مِثْلُ الأُهْبَةِ، وقيل: العُدَّةُ ما أعْدَدْتَهُ لحوادثِ الدَّهرِ من المالِ والسِّلاح.

(٩) الحِجَابُ: ما يَحْميكَ ويَمْنَعُكَ ويَعْصِمُكَ. يقال: هَتَكَ الخَوْفُ حجابَ قلبه، وهو جِلْدةٌ تحجبُ بينَ الفؤادِ والبَطْنِ، وهذا خَوْفٌ يَهْتِكُ حُجُبَ القُلوب.

(١٠) الجَزَعُ: الحُزْنُ والخَوْفُ وعَدَمُ الصَّبْرِ.

(١١) السِّتْرُ: ما سُتِرَ به، أي: الغِطَاء والوِقَاءُ.

١٤ ـ تَعْزِيةُ غيلانَ بنِ سَلَمةَ الثَّقفيِّ للوليدِ بنِ عبدِ الملكِ بأبيه

البيان والتبيين ٢: ١٥٩

لَمَّا تُوُفِّي عبدُ الملك، وجَلَسَ ابنهُ الوليدُ، دَخَلَ عليه النَّاسُ وهم لا يَدْرُون أيُهَنِّئُونَهُ أم يُعَزُّونَهُ. فأقْبَلَ غيلانُ بنُ سلمة الثَّقفيُّ، فَسَلَّم عليه، ثم قال:

«يا أمير المؤمنين، أصبحتَ قد رُزِئْتَ[١] خيرَ الآباء، وسُمِّيتَ خيرَ الأسماء، وأُعْطِيتَ أعظمَ الأشياء. فَعَظَّمَ اللهُ لكَ على الرَّزِيَّةِ[٢] الصَّبْرَ، وأعطاكَ في ذلك نوافِلَ[٣] الأجر، وأعانَك على حُسْنِ الوِلايةِ والشُّكْرِ. ثم قَضَى لعبدِ المِلكِ بخَيْرِ القَضِيَّةِ[٤]، وأنزلَهُ بأشرفِ المَنازِلِ المرضِيَّة[٥]، وأعانَك من بعدِه على الرَّعِيَّةِ».

١٥ ـ نَعْيُ الحجَّاجِ بنِ يُوسُفَ الثَّقفيِّ لعبدِ المَلكِ بنِ مَرْوَانَ

العقد ٤: ١٢٢

لَمَّا ماتَ عبدُ المَلِكِ بنُ مَرْوَانَ قامَ الحَجَّاجُ خَطِيباً، فَحَمِدَ اللهَ وأثنَى عليه، ثمَّ قال:

«أيُّها الناسُ، إنَّ اللهَ تَبارك وتعالى نَعى[٦] نبيَّكم، ﷺ، إلى نَفْسِه فقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]. وقال ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. فمات رسولُ اللهِ، ﷺ، ومات الخُلفاءُ الراشدونَ المُهْتَدونَ[٧] المَهديُّونَ[٨]، منهم أبو بكرٍ، ثم عمرٌ، ثم عثمانُ الشَّهيدُ المَظلومُ، ثم تَبعهم مُعاويةُ. ثم وَليكم البازل[٩]

---

(١) رُزِئ: ...

(٢) الرَّزِيَّة: ...

(٣) نافلة: الزيادة ...

(٤) قَضَى: القضيَّة ...

(٥) المرضيَّة: ...

(٦) نعاه: أعلن موته وأخبر به.

(٧) المهتدون: جمع مُهْتَدٍ، وهو المُقِيمُ الثَّابتُ على الإيمان.

(٨) المهديون: جمع مَهْدِيٍّ، وهو ...

(٩) البازل من الرجال: الكامل في عَقْلِهِ وتجربته، على التشبيه بالبعير البازل، وهو الذي استكمل السنة الثامنة وطعن في التاسعة، وفَطَرَ نابه، أي: انشق وطلع.

الذِّكْرُ[١]، الذي جَرَّبته الأمور[٢]، وأَحكمته[٣] التَّجارب، مع الفِقْـهِ، وقـراءةِ القـرآن، والمُروءةِ[٤] الظاهرةِ، واللِّينِ[٥] لأهل الحقِّ، والوطءِ[٦] لأهـل الزَّيْـغِ[٧]. فكـان رابعاً مـن الوُلاة المَهْدِيِّين الرَّاشِدين، فاختارَ الله له مما عندَه، وأَلحقه بهم. وعَهِدَ إلى شِبْهِهِ في العَقْـلِ والمروءةِ والحَزمِ والجَلَدِ، والقيـامِ بـأمرِ الله وخلافتـهِ، فـاسمعُوا لـه وأَطيعـوه أيُّهـا النـاس، وإيَّاكم والزَّيغَ، فإنَّ الزَّيغَ لا يَحيقَ إلاَّ بأهلهِ. ورأيتمُ سِيرتي فيكـم، وعرفـتُ خِلافَكـم، وقَبلتُكم على معرفتي بكم، ولو علمِتُ أنَّ أحداً أقوى عليكم منِّـي، أو أعـرفُ بكـم مـا وَلِيتكم. فإيَّاي وإياكم! مَنْ تكلَّمَ قَتلناهُ، ومن سَكتَ ماتَ بدائهِ غماً».

١٦ـ تأبينُ الوَليدِ بنِ عبدِ المَلكِ للحجَّاجِ بنِ يُوسُفَ وفَرْوَةَ بنِ شَرِيكٍ العَبْسِيِّ

أنساب الأشراف ١٣: ١٣: ٤٢٤

«ماتَ الحجَّاجُ فذكَرَهُ الوليدُ، وذكـرَ فَـرْوَةَ بـنَ شَـرِيكٍ العبسـيِّ، فـترحَّمَ عليهمـا، وقال: كانا مُنْقَادَيْنِ[٨] لأمْرِنا، وا لله لأشْفَعَنَّ لهما عند رَبِّي، ولأسألَنَّهُ أنْ يَدْخِلُهما الجنةَ. يا أهْلَ الشَّام أحِبُّوا الحجَّاجَ، فإنَّ حُبَّهُ إيمانٌ، وبُغْضَهُ كُفْرٌ»!!

---

(١) رجل ذكر: إذا كان قوياً شجاعاً أنِفاً أبيّاً.

(٢) رجلٌ مُجَرِّبٌ مُجَرَّبٌ: أي: ذو تجارب، فالمُجَرِّبُ هو الذي عَرفَ الأمورَ وجَرَّبها، والمُجَرَّب هو الذي جُـرِّبَ في الأمورِ وعُرِفَ ما عنده.

(٣) أحكمته التجارب: جعلته حكيماً، أي: عالماً صاحبَ حكمةٍ، وهي المعرفةُ التي تَهْدي إلى أفضل الأشياء.

(٤) المروءة: كمالُ الرجولَّية والإنسانيةُ.

(٥) اللين: الرفق والرحمة.

(٦) الوَطْء: الأَخْذُ الشديد، على المَثَلِ بالوَطْء بالقَدَم أو الرجل، أي: الدَّوْس.

(٧) الزيغ: المَيْلُ عن الحقِّ والقَصْدِ.

(٨) انقادَ له: خَضَعَ. وأعْطاهُ مَقَادَتَهُ: انقادَ له، أي: خَضَع، وفلان سَلِسُ القِيَادِ: يُتَابِعُكَ على هَوَاك.

١٧ـ تأبينُ سليمانَ بنِ عبدِ المَلِكِ لابنهِ أيُّوبَ

أنساب الأشراف ٨: ١١٦

«لمّا دُفِنَ أيوبُ وَقَفَ سليمانُ على قَبْرِهِ، وقالَ:

وَقَفْتُ على قبرٍ مُقيمٍ بِقَفْرةٍ ... مَتاعٌ قليلٌ مِنْ حَبيبٍ مُفارِقِ

ثم قال: عليك السلامُ يا أيوبُ، كنتَ لنا أُنساً فَفَارَقْتَنا، فالعَيْشُ من بعدِكَ مُرُّ المَذاق. ثم رَكِبَ دَابَّته وقالَ:

فإنْ صَبَرْتُ فَلَم أَلْفُظْكَ[١] من جَزَعٍ[٢] ... وإنْ جزعتُ فعِلْقٌ[٣] مُنْفِسٌ[٤] ذَهَبَا»

١٨ـ تَعْزيةُ عبدِ الرحمنِ بنِ أبي بكرٍ لسليمانَ بنِ عبدِ الملك بابنهِ أيُّوبَ

العقد ٣: ٣٠٣

قالَ عبدُ الرحمنِ بنُ أبي بكرٍ لسُليمانَ بنِ عبدِ المَلكِ يُعَزِّيه في ابنه أيُّوبَ، وكان وَلِيَّ عَهْدِهِ، وأَكْبَرَ وَلَدِهِ:

«يا أميرَ المُؤمنينَ، إنَّهُ مَنْ طَالَ عُمْرُهُ فَقَدَ أحِبَّتَهُ، وَمَنْ قَصَرَ عُمرُهُ كانتْ مُصِيبَتُهُ في نَفْسِهِ. فلو لم يكنْ في مِيزانِكَ[٥] لكُنْتَ في مِيزَانِهِ».

١٩ـ تَعْزِيَةُ خالدِ بنِ صَفْوَانَ المِنْقَريِّ لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ بسُليمانَ بنِ عبد الملك

زهر الآداب ٢: ١٠٠٨

عَزَّى خالدُ بنُ صَفْوانَ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ، وهَنَّأَهُ بالخلافةِ، فقال:

«الحمد لله الذي مَنَّ على الخلق بك، والحمد لله الذي جعل موتكم رحمةً، وخلافتكم عِصْمة[٦]، ومصائبكم أُسْوَةً[٧]، وجعلكم قدوة».

---

(١) لفَظَ الشيءَ: رَماه وقَذَفَهُ واطْرحَه.

(٢) الجزع: عدم الصَّبْرِ على المُصيبةِ.

(٣) العِلْقُ: النَّفيسُ من كل شيء.

(٤) النَّفيسُ والمُنْفِسُ: كل شيء له خَطَرٌ وقَدْرٌ.

(٥) الميزان: الحَسَناتُ أو الصَّحائف التي تُثْبَتُ فيها الأعمالُ.

(٦) العِصْمَة: المَنَعةُ والوِقاية والحِفْظ.

(٧) الأسوة: ما يأتَسي به الحزين، أي: يَتعزَّى به.

٢٠ـ تأبينُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ لابنهِ عبدِ المَلكِ

البيان والتبيين ٢: ٢٧٠

دَفَنَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ابنَهُ عبدَ المَلكِ، فَلمَّا سَوَّى عليه قَبْرَهُ بالأرضِ، وجَعَلُوا على قَبْرِهِ خَشَبَتَيْنِ من زَيْتُونٍ: إحداهما عندَ رأسِهِ، والأخرى عندَ رِجْلَيْهِ، ثم جَعَلَ قبرَهُ بَيْنَهُ وبينَ القِبْلةِ، واسْتَوَى قائماً، وأحاطَ به النَّاسُ، قال:

«رَحِمَكَ اللهُ يا بُنَيَّ، فقد كنتَ بَرّاً[1] بأبيكَ، ومازلتُ مذ وَهَبَكَ اللهُ لي بكَ مَسْرُوراً، ولا واللهِ ما كنتُ قَطُّ مسروراً بك، ولا أرْجَى لِحظِّي مِنَ اللهِ فيكَ مُنْذُ وَضَعْتُكَ في المَوْضعِ الذي صَيَّرَكَ اللهُ إليه. فَغَفَرَ اللهُ لكَ ذَنْبَكَ، وجازَاكَ بأحْسَنِ عَمَلِكَ، وتجاوَزَ[2] عن سَيِّئاتِك، ورحم اللهُ كلَّ شافعٍ يَشْفَعُ لك بخيرٍ من شاهدٍ وغائبٍ. رَضِينا بقضاءِ اللهِ، وسَلَّمْنَا لأمْرِهِ، فالحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ».

٢١ـ تَعْزِيةُ محمدِ بنِ الوليدِ بنِ عُتْبَةَ لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ بابنهِ عبدِ المَلكِ

العقد ٣: ٣٠٩

عَزَّى محمدُ بنُ الوليدِ بنِ عُتْبَةَ بنِ أبي سُفْيَانَ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ في ابنهِ عبدِ الملكِ، فقالَ:

«يا أميرَ المؤمنينَ، أعِدَّ لِمَا تَرَى عُدَّةً[3] تَكُنْ لَكَ جُنَّةً[4] من الحُزْنِ، وسِتْراً[5] من النَّارِ».

٢٢ـ تَعْزِيةُ الناسِ لعمرَ بنِ عبدِ العَزيزِ بأخْتِهِ

العقد ٣: ٣١٠

تُوُفِّيَتْ أُخْتٌ لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ، فلما فرغَ من دَفْنِها دَنا إليه رجلٌ فعزَّاه، فلم يَرُدَّ عليه شيئاً، ثم دنا إليه آخرُ فعزَّاه، فلم يرُدَّ عليه شيئاً. فلما رأى النَّاسُ ذلك أمْسَكُوا عنه ومَشَوْا معه، فلما بَلغ البابَ أقبل على الناسِ بوَجْهِهِ، وقال:

«أدركتُ الناسَ وهم لا يُعَزُّونَ بامرأةٍ إلاَّ أنْ تكونَ أُماً. انْقَلِبُوا[6]، رحمكم اللهُ».

---

(١) البَرُّ: الوَصُولُ المُحْسِنُ العَطُوف، يقال: بَرَّ والدَهُ، أي: وَصَلَهُ وأحْسَنَ إليه وعَطَفَ عليه.

(٢) تجاوز عن سَيِّئاته: عفا عنها ولم يؤاخِذْهُ بها.

(٣) العُدَّة: ما أعْدَدْتَهُ لحوادثِ الدَّهرِ من المالِ والسِّلاحِ. والمراد العملُ الصالحُ الذي يَلْقَى به اللهَ سبحانه وتعالى.

(٤) الجُنَّةُ: الدِّرْعُ.

(٥) السِّتْرُ: ما سُتِرَ به، أي: الغِطاءُ والوِقَاءُ.

(٦) انْقَلَبَ: انْصَرَفَ.

٢٣ـ تَعْزِيةُ الوليدِ بنِ يزيدَ لهشامِ بنِ عبدِ الملكِ بأخيهِ مَسْلَمَة

الأغاني ٧: ٧
والكامل في التاريخ ٥: ٢٩٠

لَمَّا ماتَ مسلمةُ بنُ عَبْدِ المَلِكِ جَلَسَ أخوهُ هشامُ بنِ عبدِ الملكِ للعَزَاءِ، فأتى الوليدُ بن يزيد، فوقفَ على هشامٍ، فقال:

«يا أمير المؤمنين، إنَّ عقبى[١] مَنْ بَقِيَ لحوقُ مَنْ مَضَى، وقد أفْقَرَ[٢] بعدَ مَسْلمة الصَّيْدُ لَمَنْ رَمَى، واختَلَّ[٣] الثَّغْرُ فَوَهى[٤]، وعلى أثَرِ مَنْ سَلَفَ يَمْضي مَنْ خَلَفَ، ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[البقرة: ١٩٧]».

٢٤ـ تأبينُ الأحْنَفِ بنِ قَيْسٍ التَّميميِّ لجاريةَ بنِ قُدامَةَ السَّعْديِّ

أنساب الأشراف ١٢: ٣٢٧

صَلَّى الأحْنَفُ على جاريةَ بنِ قُدامةَ، ثم قامَ على قَبْرِهِ، فقالَ:

«رَحِمَكَ اللهُ أبَا أيوبَ! كنتَ لا تَحْسِدُ غَنِيَّنا، ولا تَحْتَقِرُ فَقِيرَنا[٥]».

---

(١) عُقْبَى كل شيء: آخره.

(٢) الفَقارُ: خَرَزُ الظَّهْر. «وأفْقَرَكَ الصَّيْدُ: أمْكَنَكَ من فَقارِه، أي: فارْمِهِ، وقيل: مَعْنَاهُ قد قَرُبَ منك. وفي حديث الوليد بن يزيد بن عبد الملك «أفْقَرَ بعدَ مَسْلمةَ الصَّيْدُ لِمَنْ رَمَى»: أي: أمْكَنَ الصَّيْدُ من فَقارِهِ لِرَامِيه. أراد أنَّ عَمَّه مسلمةَ كان كثيرَ الغَزْو، ويَحْمي بَيْضَةَ الإسلامَ، ويَتولَّى سِدَادَ الثُّغُور، فلمَّا ماتَ اخْتَلَّ ذلك، وأمْكَنَ الإسلامُ لمن يَتَعرَّضُ إليه». (اللسان: فقر).

(٣) اخْتَلَّ: وَهَنَ وضَعُف.

(٤) وَهَى: ضعف.

(٥) وللخبر روايةٌ أخرى، قال البلاذريُّ: «هَلَكَ جاريةُ بالبصرة، فَشهدَ الأحْنَفُ جنازتَهُ، فقال: يَرْحَمُكَ اللهُ أبَا أيوبَ! فواللهِ ما كنتَ تَحْسِدُ شَريفَنَا، ولا تَحْقِرُ ضَعِيفَنا». (أنساب الأشراف ١٢: ٣٧٨).

٢٥ـ تأبينُ مُصْعَبِ بن الزُّبَيْرِ للأحْنَفِ بنِ قَيْسٍ التَّمِيميِّ

أنساب الأشراف ١٢: ٣٤٣

لَمَّا مات الأحْنَفُ مَشَى مُصْعَبُ بن الزَّبير في جَنازتهِ، وقد أَلْقَى عِطافَهُ[١]، وحَمَلَ مُقَدَّم السَّرير، وكان يَسْتَرْجِعُ، ويقول:

«اليومَ ماتَ الحِلْمُ، وذَهَبَ الوَفاء».

٢٦ـ تأبينُ مُصْعَبِ بنِ الزُّبَيْرِ للأحْنَفِ بنِ قَيْسٍ التَّمِيميِّ

تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧: ٢٦

لَمَّا مات الأحْنَفُ مَشَى مُصْعَبُ بنُ الزَّبيرِ في جَنازَتهِ مُتَقَلِّداً سيفاً ليس عليه رداءٌ، وهو يقول:

«ذَهَبَ اليومَ الحَزْمُ[٢] والرَّأيُ»!

٢٧ـ تأبينُ مُصْعَبِ بن الزُّبَيْرِ للأحْنَفِ بنِ قَيْسٍ التَّمِيميِّ

أنساب الأشراف ١٢: ٣٤٣

لَمَّا ماتَ الأحْنَفُ قالَ مصعبُ بنُ الزُّبير:

«اليَوْمَ ماتَ الزُّبَيْرُ»!

٢٨ـ تأبينُ مُصْعَبِ بنِ الزُّبَيْرِ للأحْنَفِ بن قَيْسٍ التَّمِيميِّ

أنساب الأشراف ١٢: ٣٤٣

قال مُصْعَبُ بنُ الزُّبَيْرِ، وهو في - نازِةِ الأحْنَفِ يَمْشي أمامَها مُتَسَلِّياً:

«إنَّا لله وإنَّا إليه رَاجِعُونَ، ماتَ سَيِّدُ العَرَبِ».

---

(١) العِطَافُ: الإزار والرِّداء، وسُمِّيَ الرداءُ عِطافاً لِوُقُوعه على عِطْفَي الرجل، وهما ناحيتا عُنُقِه. يقال: اعْتَطَفَ بالعِطَافِ والمِعْطَفِ، وتَعَطَّفَ به، أي: ارْتَدَى به، وتَرَدَّى به.

(٢) الحَزْمُ: ضَبْطُ الأمر والأخْذُ فيه بالثِّقة.

٢٩ـ تأبينُ أسْماءَ بنتِ حِصْنٍ المِنْقَرِيَّةِ للأحْنَفِ بنِ قَيْسٍ التَّمِيمِيِّ

أنساب الأشراف ١٢: ٣٤٤
و البيان والتبيين ٢: ٢٤١
وبلاغات النساء ص: ٥٥
والكامل للمبرد ٤: ٨٨
وذيل الأمالي والنوادر ص: ٢٧
وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٧: ٢٧
وسير أعلام النبلاء ٤: ٩٦

«لَمَّا سُوِّيَ التُّرابُ على الأحْنَفِ، والنَّاسُ مَحْزُونُونَ، قامتِ امرأةٌ من بني تميمٍ، يُقالُ لها: أسْماءُ[١] بنتُ حِصْنٍ من بني منْقَرٍ، فقالت: إنّي مُعَزِّيتكم عن أبي بَحْرٍ، أعْظَمَ اللهُ أجُورَكم فيه. ثم قالت: رَحْمَةُ اللهِ عليكَ مِنْ مُجَنٍّ[٢] في جَنَنٍ[٣]، [ومُدْرَجٍ[٤] في كَفَنٍ[٥]]. إنا للهِ وإنّا إليه راجعونَ، نسألُ اللهَ الذي فَجَعَنَا[٦] بفَقْدِكَ، وابتلانا[٧] بفراقِكَ أنْ يَغْفِرَ لك يَوْمَ حَشْرِكَ، وأنْ يَفْسَحَ[٨] لك في قَبْرِكَ، وأنْ يَجْعَلَ سَبيلَ الخَيْرِ سَبِيلَكَ، ودَليلَ الرَّشادِ[٩] دَلِيلَكَ. ثم الْتَفَتَتْ إلى النّاسِ فقالت:

إنَّ أولياءَ[١٠] اللهِ في بلادِهِ شُهودُهُ على عِبَادِهِ، وإنّا قائلونَ حقاً، ومثْنُونَ صِدْقاً، فإنه لأهْلٌ لِحُسْنِ الثّنا[١١] وطيبِ الثّناءِ. أمَا والذي جَعَلَهُ من أجَلِهِ[١٢] في عِدَّةٍ[١٣]، ومن

---

(١) سَمّاها الجاحظ: فرغانة بنتَ أوسِ بن حَجَر. (البيان والتبيين ٢: ٢٤١). وسمَّاها ابنُ طيفور: صَفِيَّة بنتَ هشامٍ المِنْقريّة. (بلاغات النساء ص: ٥٥). وذكر ابنُ عساكرٍ والذهبي أنها بنتٌ لأوسٍ السَّعْديِّ. (تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧: ٢٧، وسير أعلام النبلاء ٤: ٩٦).

(٢) جَنَّ الميِّتَ وأجَنَّه: سَتَرَهُ وواراه، أي قَبَره ودَفَنَهُ.

(٣) الجَنَنُ: القبر.

(٤) أدْرَجَ الميِّتَ في الكَفَنِ: أدْخَلَهُ فيه، أي لَفَّه وطَوَاهُ.

(٥) زيادة من جميع المصادر، ولعلها سقطت من رواية البلاذري.

(٦) فَجعَهُ بفَقْدِهِ: رَزَأهُ به وأصابَهُ وأوْجَعَهُ.

(٧) ابتلاه: اخْتَبَرهُ وامْتحنَهُ.

(٨) فسَحَ له: وَسَّع.

(٩) الرَّشاد: الهُدَى.

(١٠) الأولياء: جمع وَلِيٍّ، وهو المُحِبُّ النّاصِرُ.

(١١) الثّنا: ما أخْبَرْتَ به عن الرَّجُلِ من حَسَنٍ أو سَيِّئ، يقال: فلانٌ حَسَنُ الثنا وقبيح الثّنا.

(١٢) الأجل: مُدَّةُ الشيء، وغايَةُ الوقت في الموتِ والدَّيْنِ ونَحْوِهِ.

(١٣) العِدَّةُ: العدد، أي: مِقْدارُ ما يُعَدُّ ومَبْلَغُهُ.

الفَناء إلى مُدَّةٍ، ومن عُمْرِهِ إلى نهايةٍ، وفي المِضْمارِ[١] إلى غايةٍ، لقد عاشَ حميداً رَشِيداً، ومات فقيداً سعيداً. ولقد كان عظيمَ السَّلْمِ[٢]، بَسِيطَ الحِلْمِ[٣]، رفيعَ العمادِ[٤]، وَارِيَ الزِّنادِ[٥]، مَنِيعَ الحريمِ[٦]، سَلِيمَ الأديمِ[٧]. ولقد كان في المحافلِ شريفاً، وعلى الأرامِلِ عطوفاً، وعن الفحشاءِ عفيفاً، ومن النَّاسِ قريباً، وفيهم غَريباً، وإنْ كان لمسوَّداً، وإلى الخلفاءِ مُوَفَّداً، وإنْ كانوا لِقَوْلِهِ لسَامعينَ، ولرأيِهِ مُتَّبعينَ».

٣٠ـ تَعْزِيةُ خالدِ بنِ صَفْوَانَ المِنْقَريِّ لأُمَيَّةَ بنِ عبدِ اللهِ بهَزِيمَتِهِ

أنساب الأشراف ١٢: ٢٨٥

وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥: ٦٠

قالَ خالدُ بنُ صفوانَ لأميَّةَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ خالدِ بنِ أسيدٍ، حينَ أَتَى البَصْرَةَ مُنْهزماً من أبي فُدَيْكٍ:

«الحمدُ للهِ الذي خارَ لَنا[٨] عليكَ، ولم يَخِرْ لك علينا، فقد كنتَ حَرِيصاً على الشَّهادةِ، ولكنَّ اللهَ أَبَى ذلكَ لِيزينُ بك مِصْرَنا، ويُؤْنِسَ[٩] بك وَحْشَتَنَا[١٠]، ويَكشِفَ بك غُمَّتَنَا[١١]»!

---

(١) المِضْمار: الموضع الذي تُضمَّرُ فيه الخَيْلُ. والمضمار: وَقْتُ الأيام التي تُضَمَّر فيها الخيل للسِّباقِ أو للرَّكْض إلى العَدْوِ.

(٢) السلم: الصُّلْحُ والسَّلَام، يُفتَحُ ويُكْسَرُ، ويُذكَّرُ ويُؤَنَّث.

(٣) بسيط الحلم: واسع الحلم.

(٤) رفيع العماد: أي: عِمادُ بيتِ شَرَفِهِ، والعرب تَضَعُ البيتَ موضعَ الشَّرَفِ في النَّسَبِ والحَسَبِ. وفلانٌ رفيعُ العماد: أي: شريف لِرِفعةِ عِمادِ حياءِ الشريفِ منهم، يقال: فلانٌ طويل العماد، إذا كان منزلُهُ مُعْلَماً لِزَائِريه، أي: مَعْرُوفاً مشهوراً.

(٥) يقال: إنه لَوارِي الزِّنَادِ والزِّنْدِ، إذا رام أمراً أنْجَحَ فيه، وأدْرَكَ ما طَلَبَ. وقيل: يكون ذلك في الكرم وغيره من الخِصال المحمودةِ.

(٦) منيع الحريم، أي: نساؤه عزيزاتٌ مُمْتَنعاتٌ لا يُخلَّصُ إليهن، لأنه يَحُوطُهنَّ ويَحْمِيهنَّ ممن يُريدُهُنَّ بسُوء.

(٧) سليم الأديم: بَرِيءُ الأديم مما يُلْطَخُ به ويُرْمَى من أمرٍ قبيح، أي: عفيف، وهو قريبٌ من قولهم: عفيف الإزار، إذا وصف بالعِفة عما يحرم عليه من النساء.

(٨) خار الله لك: أي: أعطاك ما هو خيرٌ لك، أو اختار لك أصْلَح الأمرين، وجعل لك الخِيرة فيه. والخيرة الاسم من الاختيار، وهو الاصطفاء والانتقاء.

(٩) آنَسَهُ: سَرَّهُ وأفْرَحَهُ وبَسَطَهُ.

(١٠) الوَحْشَة: الفَرَقُ من الخَلْوةِ، وقيل: الخَلْوةُ والهَمُّ.

(١١) الغُمَّة: الكَرْبُ. وللخبر روايةٌ أخرى، قالَ ابنُ قتيبة:

«لمَّا هُزِمَ أميةُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ خالدِ بنِ أسيدٍ لم يَدْرِ النَّاسُ كيف يُعَزُّونه، فدخل عليه عبدُ اللهِ بنُ الأهتم، فقال: مَرْحباً بالصَّابرِ المَحْذُولِ! الحمدُ للهِ الذي نَظَرَ لنا عليك، ولم يَنْظُرْ لك علينا، فقد تَعَرَّضْتَ للشهادةِ بجُهْدِك إلاَّ أنَّ =

٣١- نَعْيُ الحجَّاجِ بنِ يُوسُفَ لأبيه

أنساب الأشراف ١٣: ٣٥٢

ماتَ يُوسُفُ بنُ الحَكَمِ، والحجَّاجُ على المدينةِ، فَنَعاهُ على المِنْبَرِ، فقالَ:

«إنِّي أَحْمَدُ ا للهَ أنَّه لم يَدَعْ[١] مالاً[٢] ولا كلاًّ[٣]»!

٣٢- نَعْيُ الحجَّاجِ بنِ يُوسُفَ الثَّقَفيِّ لابْنِه وأخيهِ

العقد ٤: ١٢٢، ٥: ٤٧

و أنساب الأشراف ١٣: ٣٩٢

والتعازي والمراثي ص: ٢٠٤

وسرح العيون ص: ١٨٤

ماتَ مُحمَّدُ بنُ الحجَّاجِ، ونُعِيَ محمدُ بنُ يُوسفَ في جُمُعةٍ، فخطبَ الحجَّاجُ الناسَ، فقال:

أيُّها الناسُ، مُحمدانِ في يومٍ واحدٍ! أما وا للهِ لقد كنتُ أُحِبُّ أنهما معي في الدنيا، مع ما أرْجُو لهما من ثوابِ ا للهِ في الآخرة. وأيمُ ا لله، لَيُوشكنَّ الباقي منَّا ومنكم أن يَفْنَى، والجديدُ منَّا ومنكم أنْ يَبْلَى، والحيَّ منَّا ومنكم أنْ يموتَ، وأن تُدالَ الأرضُ منَّا[٤] كما أُدِلنا منها، فتأكل من لُحومنا، وتَشْرب من دمائنا، كما مَشَينا على ظَهرها، وأكلْنا من ثمارها، وشَربنا من مائها، ثم يكون كما قال ا لله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١]. ثم تَمثل

ا لله علمَ حاجةَ الإسلامِ إليك، فأبْقَاكَ له بخِذْلانِ مَنْ كان معك لك. فَصَدَرَ النَّاسُ عن كلامه». (عيون الأخبار ١: ١٩٧، وانظر العقد ١: ١٤٣، وزهر الآداب ١: ٣٤٤).

نظر إليه: أحْسَنَ إليه ورَحِمَهُ وعَطَفَ عليه. وتَعَرَّضَ للشيء: طَلَبَهُ. والجُهْد: الوُسْعُ والطَّاقة.

(١) لم يَدَعْ: لم يترك.

(٢) المال: الإبل.

(٣) الكلاّ: كِنَايةٌ عن الأرض، أي: المزارع والضياع.

(٤) أُدِيلت الأرضُ منهم: جُعِلَتْ لها الغَلَبَة عليهم. قال ابن منظور: قالَ الحجاج: «يُوشِكُ أنْ تُدَالَ الأرْضُ مِنَّا كما أُدِلْنا منها»، أي: أنْ تُجْعَل لَها الكرَّةُ والدَّوْلَةُ علينا، فتأكُلَ لُحومَنَا كما أكلنا ثِمارَها، وتَشْرَبَ دِمَاءَنا كما شَرِبْنا مِيَاهَها. (اللسان: دول).

بهذين البيتين:

عَزَائِي نَبِيُّ اللهِ مِنْ كُلِّ مَيِّتٍ ... وحَسْبِي ثوابُ اللهِ مِن كُلِّ هالِك

إذا ما لقيتُ اللهَ عنّي راضِياً ... فإنَّ سُرورَ النَّفس فيما هُنالِك[1] ».

(١) تختلف رواية البلاذريِّ للخطبة اختلافاً كبيراً عن روايتها في سائر المصادر، إذ يقول:

«ماتَ محمدٌ بنُ الحجَّاجِ، ومحمدُ بنَ يوسفَ باليمنِ في سنةٍ، فقال الحجَّاجُ: مُصِيبَتَانِ عَظِيمتانِ في عامٍ، أمَا واللهِ لو كانَ الموتُ يُقْبَلُ الفداء لقد كانَ عندَنا مالٌ، ولو كانَ يُدْفَعُ بالقوةِ لقد كانتْ عندنا قوةٌ وسلطانٌ، ولكنْ غلبَ سلطانُ اللهِ سلطانَنَا. وما يَسُرُّني أنَّ أحدَهما عن يَميني والآخرَ عن شمالي لِما أرْجُو من ثوابِ اللهِ، وكأنَّا بكلٍّ جديدٍ قد بُلِيَ، وبكلٍّ حيٍّ قد ماتَ». (أنساب الأشراف ١٣: ٣٩٢).

(٤) خُطَبُ الصُّلْحِ والزَّوَاجِ

١ ـ خُطْبَةٌ لمعاويَةَ بنِ أبي سُفْيَانَ في الصُّلْحِ بينَ قَوْمٍ من قُرَيْشٍ

العقد ٣: ٣٢٢

اخْتَصَمَ قَوْمٌ مِن قريشٍ عندَ مُعَاوِيَة بنِ أبي سُفْيَانَ، فَمنَعُوا الحقَّ، فقالَ مُعاويةُ:

«يا معشرَ قُرَيشٍ، ما بال القَوْمِ لأمٍّ يَصِلُونَ بينهم ما انْقَطَع، وأنتم لِعَلاَّتٍ[١] تَقْطعونَ بينكم ما وَصَلَ الله، وتُباعدونَ ما قرَّبَ! بل كيف تَرْجُونَ لغيرِكم وقد عَجَزْتُم عن أنفسكم! تَقُولون: كَفَانا[٢] الشَّرَفَ مَنْ قَبْلَنا، فَعِنْدَها لَزِمَتْكم الحُجَّة[٣]، فاكْفُوهُ مَنْ بَعْدكم كما كَفَاكُمْ مَنْ قَبْلَكُمْ. أَوَ تَعْلَمُونَ أنكم كنتم رِقاعاً[٤] في جُنُوبِ العَرَبِ، وقد أُخْرِجْتُمْ من حَرَمِ ربِّكم، ومُنِعْتُمْ ميراثَ أبيكم وبَلَدِكم، فأَخَذَ لَكم الله ما أُخِذَ مِنكم، وسَمَّاكم باجتماعكم اسماً به أَبانَكم من جميعِ العرَب، وردَّ به كَيْدَ العَجَم، فقال جلَّ ثناؤُه: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝ إِۦلَٰفِهِمْ﴾ [قريش: ١، ٢]. فارْغَبُوا في الائتلاف أَكْرَمَكم الله به، فقد حَذَّرَتْكم الفُرْقَةُ نَفْسَهَا، وكفى بالتَّجرْبة وَاعِظاً».

---

(١) بنو العَلاَّت: بنو الضَّرائر، أي: بنو رجل واحدٍ من أمهاتٍ شتَّى.

(٢) كفاه الشَّرَفَ: بَنَى له المجد وأغناه عن أن يَبْنِيَه بنفسه ويبْذُل فيه جُهْدَه.

(٣) لزمته الحجة: صارت الحجة عليه، أي: غلبه خَصْمُه وقَهَره.

(٤) كنتم رقاعاً في جُنُوبِ العرب: أي: لم تكونوا شيئاً في أنفسكم، بل كنتم ضِعافاً تستمدون قوتكم من العرب، وتعتمدون عليهم في حماية جانبكم، وكنتم تتعلقون بهم تَعَلُّقاً كما تُلْصَقُ الرُّقْعَةُ بالثوب إلصاقاً.

٢ـ خُطْبَةٌ للأحْنَفِ بنِ قَيْسٍ التَّميميِّ في الصُّلْحِ بينَ الأزْدِ وتميمٍ

نقائض جرير والفرزدق ٢: ٧٤٠
و البيان والتبيين ٢: ١١٢
و أنساب الأشراف ٤: ٢: ٩٩، ١١٤
والكامل للمبرد ١: ١٤١
و تاريخ الرسل والملوك ٥: ٥٢٦
والعقد ٤: ١٣٤
وزهر الآداب ٢: ٦٤٤

لَمَّا قُتِلَ مَسْعُودُ بن عمرٍو العَتكيُّ سَيِّدُ الأزْدِ بالبَصْرَةِ، بعدَ أنْ هَرَبَ عبيدُ الله بنُ زيادٍ إلى الشَّامِ، اتَّهَمتِ الأزَدُ بني تميمٍ بقَتْلِهِ، واشْتَعَلتِ الحربُ بينَ الفَريقَيْنِ وأحْلافِهم من بكرٍ وقَيْسٍ، وقُتِلَ منهم قَتْلَى كثيرةٌ. فَعَرَضَ بنو تميمٍ الصُّلْحَ على الأزْد، وأنْ يَدُوا صَاحِبَهم مائةَ ألْفِ دِرهمٍ، فَقَبِلُوا ذلك، وأتَاهم الأحْنَفُ بنَ قيسٍ في وُجُوهِ مُضَرَ إلى منزلِ زيادِ بنِ عمرو العَتكيِّ، فحمدَ الله ، ثم قال:

«أمَّا بعدُ يا مَعْشَرَ الأزْدِ وربيعة، فإنكم إخوانُنَا وأخْوَالُنا في الإسلامِ. وشركاؤُنا في الصِّهْرِ، وجيرَانُنا في الدَّارِ، ويَدُنَا على العَدُوِّ. ووالله لأَزْدُ البَصْرةِ أحَبُّ إليَّ من تميمِ الكُوفَةِ، ولأزْدُ الكُوفَةِ أحَبُّ إليَّ من تميمِ الشَّامِ. فإذا استَشْرَتْ[1] شَأفَتُكُم[2]، وحَمِيَتْ جَمْرَتُكم[3]، وأبَى حَسَكُ[4] صدُورِكم، ففي أمْوَالِنَا وأحْلامِنا سَعَةٌ لنا ولكم. قد رَضِيتُم أنْ نَحْمِلَ هذه الدِّماءَ في بَيْتِ المالِ من أعْطياتنا؟ قالوا: قد رَضِينا يا أبا بَحْرٍ. قال: قد رَضِيتم؟ قالوا: نعم».

فَضَمِنَها وضَمِنَ القيامَ بها إياسُ بنُ قتادةَ السَّعْديُّ، فَرضُوا به لأنه رجلٌ شريفٌ مُسْلِمٌ وَرِعٌ.

---

(١) اسْتَشْرَت: هاجت كما يَهيجُ الشَّرى، وهو شِبْهُ البَثْرِ يخرج في الجسدِ، أي: استطارَت وعظمت وتفاقمت.
(٢) الشأفة: العَداوةُ على التشبيهِ بالشأفةِ، وهي قَرْحةٌ تَخْرُجُ بباطنِ القدم فَتُقْطَعُ أو تكوَى فتذهب.
(٣) حَمِيَتْ جَمْرَتُكم: اشْتَدَّ غضبُكم على التَّشْبِيهِ باتِّقادِ النَّار وتأجُّجها.
(٤) الحَسَكُ: جمع حَسَكة، وهي حِقْدُ العَداوةِ على التشبيهِ بِحَسَكِ السَّعْدانِ، وهو شَوْكُهُ.

٣ ـ خُطْبَةٌ للأحْنَفِ بنِ قَيْسٍ التَّميميِّ في الصُلْحِ بين قَوْمَيْنِ في دَمٍ

أنساب الأشراف ١٢: ٣٢١

وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٧: ٢١

ووفيات الأعيان ٢: ٥٠١

وسير أعلام النبلاء ٤: ٩٣

«كانَ لقومٍ قِبَلَ قومٍ دَمٌ، فصَالَحُوهُمْ على دِيَتَيْنِ، فقالَ الأحنفُ: إنَّ الله حَكَمَ بديةٍ، فرضيَ بها المسلمونَ، وأحقُّ ما رَضِيَ به العبادُ ما أمْضَى[١] الله به حُكمهُ عليهم. وإنَّكُمْ إنْ أَبَيْتُمْ أنْ تَرْضَوْا اليومَ بديَةٍ، لم يُرْضَ منكم غداً إلاّ بمثلِ ما طَلَبْتُمْ، فإنَّ الأمورَ تَتعاقَبُ[٢]، والعِزُّ[٣] مُنْتَقِلٌ[٤]. فقالوا: الحُكْمُ إليك، فأعْطَاهُمْ دِيةً».

٤ ـ خطبةٌ للأحْنَفِ بنِ قَيْسٍ التَّمِيمي في الصُلْحِ بينَ قَوْمٍ

أمالي القالي ٢: ٢٠

وزهر الآداب ٢: ٦٤٣

وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٧: ٢١

وسرح العيون ص: ١١١

اجْتَمَعَ قومٌ في مَجْلِس الأحْنَفِ بن قَيْسٍ في أمْرٍ لهم، فَحَمِدَ الله وأثْنى عليه، ثم قال:

«إن الكَرَمَ، مَنْعُ الحُرَم[٥]، ما أَقْرَبَ النقمةَ من أهل البَغي، لا خيرَ في لَذَّةٍ تُعْقِبُ نَدَماً؛ لن يَهْلِك مَنْ قَصَد[٦]، ولن يفتقر من زَهِدَ، رُبَّ هَزْلٍ قد عاد جِداً، من أمِن الزمانَ خانه، ومن تَعَظَّم عليه أهانه، دَعُوا المِزَاح فإنه يُؤَرِّث[٧] الضَّغائن[٨]، وخيرُ القول ما صَدَّقَهُ الفِعْلُ، احْتَمِلوا لِمَنْ أدَلَّ[٩] عليكم، واقبلوا عذرَ من اعتذر إليكم. أطِعْ أخاك وإنْ

(١) أمْضَى حكمه: أنْفَذَهُ.

(٢) تَتعاقب: تَتَدَاوَلُ بين النَّاس، فتكون مرةً لهؤلاء، ومرةً لأولئك.

(٣) العِزُّ: القُوَّةُ والشِّدَّةُ والغَلَبةُ.

(٤) مُنْتَقِلٌ: مُتَغَيِّرٌ مُتَبدِّلٌ مُتَحوِّلٌ، لا يَسْتَقِرُّ في قومٍ دونَ غيْرِهم.

(٥) الحُرَمُ: جمع حُرْمَةٍ، وهي ما لا يَحِلُّ لك انتهاكه.

(٦) القصد: الاعتدال.

(٧) يُؤَرِّث: يهيج ويُحَرك، من أرَّثَ النار إذا أوقدها وأذكاها.

(٨) الضغائن: جمع ضغينة، وهي الحقد.

(٩) أدَلَّ: اجْتَرأ.

عصاك، وَصلْهُ وإن جَفاك. أنْصِف مِنْ نفسك قبل أن يُنتَصف منك، وإياكم ومُشَاوَرَة النساء. واعلم أنَّ كُفْر النِّعمةِ لؤْمٌ، وصحبة الجاهل شُؤْم. ومن الكَرَم الوفاءُ بالذِّمم. ما أَقْبَحَ القطيعةَ بعد الصِّلةِ، والجَفَاءَ بعد اللُّطَفِ، والعداوةَ بعد الوُدّ! لا تكونَنَّ على الإساءةِ أقوى منك على الإحسان، ولا إلى البُخْل أسرعَ منك إلى البذل. واعلم أنَّ لكَ من دنياك ما أَصْلَحْت به مَثْواك[1]، فأنفقْ في حَقٍّ، ولا تكونن خازناً لغيرك. وإذا كان الغَدْرُ في الناسِ مَوْجوداً، فالثقة بكل أحدٍ عجزٌ. اعرِف الحق لمن عَرَفَه لك، واعلَم أنَّ قَطيعةَ الجاهلِ تَعْدِل صِلَة العاقل».

٥ ـ خطبةٌ لزيادِ ابنِ أبيهِ في اسْتِلْحَاقِ مُعَاوِيَةَ له

العقد ٤: ١١٣، ٥: ٥، ٦: ١٣٢

ومروج الذهب ٣: ١٦

وذيل الأمالي والنوادر ص: ١٨٥

وشرح نهج البلاغة ١٦: ١٨٧

لمّا أرادَ معاويةُ استلحاقَ زيادٍ، وقد قدمَ عليه الشام، جمعَ الناسَ وصَعِد المنبَر، وأصعدَ زياداً معه، فأجلسه بين يَدَيْهِ على المرْقَاة[2] التي تحت مِرْقاتِه، وحَمِدَ الله وأَثْنى عليه، ثم قال:

أيُّها الناسُ، إنّي قد عَرَفْتُ نَسبَنا أهل البيتِ في زيادٍ، فمنْ كان عنده شهادةٌ فليقمْ بها. فقام ناسٌ فشهدوا أنّه ابنُ أبي سُفْيانَ، وأنّهم سمعوا ما أقرَّ به قبل موته.

فلمَّا انقضَى كلامُ معاويةَ ومناشدَتُهُ، قامَ زيادٌ، وأنصتَ النَّاسُ، فحمد الله وأَثْنى عليه، ثم قال:

«أيُّها الناسُ، هذا أمرٌ لم أشهدْ أوّلَه، ولا عِلْمَ لي بآخرِهِ. وقد قالَ أميرُ المؤمنينَ ما بَلغكم، وشَهِدَتْ الشهودُ بما سَمِعتم. فالحمدُ لله الذي رَفَع منّا ما وَضَع الناسُ، وحَفِظَ منّا ما ضَيَّعُوا. فأما عُبيدٌ، فإنما هو والدٌ مبرورٌ[3]، أو كافلٌ مشْكُور».

---

(١) المثوى: الآخرة.

(٢) المرقاة: الدرجة.

(٣) مبرور: موصول، من بَرَّ رَحِمَهُ إذا وَصَلَه.

٦ ـ خطبةٌ لِعُتْبةَ بنِ أبي سُفْيَانَ في تَزْويجِ ابْنَته

العقد ٤: ١٤٩

خطب عثمانُ بن عَنْبَسةَ بنِ أبي سُفْيَانَ إلى عُتْبَةَ بنِ أبي سُفْيَانَ ابْنَتَهُ، فأقْعَدَهُ على فَخذِهِ، وكانَ حَدَثًا، فقالَ:

«أقربُ قريبٍ خَطَبَ أحبَّ حَبيبٍ، لا أستطيعُ له رَدّاً، ولا أجدُ من إسعافه[1] بُدّاً. قد زَوَّجْتُكَها، وأنتَ أعزُّ عليَّ منها، وهي ألصَقُ بقلبي منك. فأكْرِمها يَعْذُبْ على لساني ذِكْرُك، ولا تُهِنْها فيَصْغُرَ عندي قَدْرُك. وقد قَرَّبْتُكَ مع قُرْبِكَ، فلا تُبعد قلبي مِن قَلْبِك».

٧ ـ خُطْبَةٌ لعبدِ المَلِكِ بنِ مَرْوَانَ في تَزْويجِ ابْنَتِهِ

العقد ٤: ١٥١، ٦: ١٠٠

قالَ عبدُ المَلِكِ بنُ مَرْوَانَ لعمرَ بنِ عبدِ العَزيز:

«قد زَوَّجَكَ أميرُ المؤمنينَ ابْنَتَهُ فاطمة». فقال عُمَرُ: جزاكَ اللهُ يا أميرَ المؤمنينَ خيراً، فقد أجْزَلْتَ العَطِيَّةَ، وكَفَيْتَ المَسْأَلَةَ[2].

٨ ـ خطبةٌ لعمرَ بنِ عبد العزيزِ في تَزْويجِ أخْتِهِ

العقد ٤: ١٥٠

وعيون الأخبار ٤: ٧٣

و أنساب الأشراف ٨: ١٨٨

وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص: ٣٦

خطبَ محمدُ بنُ الوليدِ بنِ عُتْبَةَ بنِ أبي سُفْيَانَ إلى عمرَ بن عبد العزيزِ أخْتَهُ، فتكلَّمَ محمدٌ بكلامٍ طويلٍ[3]، فأجابَهُ عُمَرُ:

---

(١) الإسْعَافُ: قَضاء الحاجة وإنجازها.

(٢) كفيتَ المسألةَ: أغْنَيْتَ عن الطَّلَب.

(٣) قال الجاحظ: «السُّنَّةُ في خطبة النِّكاح أنْ يُطيلَ الخاطبُ، ويُقَصِّرَ المُجيبُ». (البيان والتبيين ١: ١١٠). وقال الأصمعيُّ: «كانت رجالاتُ قريشٍ من العرب تَسْتَحِبُّ من الخاطب الإطالة، ومن المخطوبِ إليه الإيجاز». (عيون الأخبار ٤: ٧٣، وانظر سيرة عمر بن عبدِ العزيز لابن الجوزي ص: ٣٦).
وقال العُتْبيُّ: «يُسْتَحَبُّ للخاطبِ إطالةُ الكلام، وللمَخْطُوب إليه تَقْصيرُهُ». (العقد ٤: ١٥٠).

«الحمدُ للهِ ذي الكِبْرياءِ[١]، وصلّى اللهُ على محمدٍ خَاتَمِ الأنبياءِ، أمّا بعدُ، فإنَّ الرَّغْبَةَ منكَ دَعَتْكَ إلينا، والرَّغْبَةِ فيكَ أجَابَتْكَ منا. وقد أحْسَنَ بكَ ظناً مَنْ أوْدَعَكَ كَرِيمَتَهُ، واختارَكَ ولم يَخْتَرْ عليك. وقد زَوَّجْتُكَها على كتابِ اللهِ إمْسَاكاً[٢] بِمَعْرُوفٍ أو تَسْرِيحاً[٣] بإحْسَانٍ[٤]».

٩ ـ خُطْبَةُ الحَسَنِ البَصْرِيِّ في النِّكَاحِ

عيون الأخبار ٤: ٧٣
و البيان والتبيين ٢: ٨٠
والعقد ٤: ١٥٠

كانَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ يَقُولُ في خُطْبَةِ النِّكاحِ بعد حَمْدِ اللهِ والثّناء عليه: أمَّا بَعْدُ،

«فإنَّ اللهَ جَمَع بهذا النِّكاحِ الأرْحامَ المُنْقَطِعَةَ، والأسبابَ[٥] المتفرِّقةَ، وجَعَلَ ذلك في سُنَّةٍ من دِينِهِ، ومِنْهاجٍ[٦] واضِح من أمْرِه. وقد خطَبَ إليكم فلانٌ، وعليه من اللهِ نِعْمةٌ، وهو يَبذُلُ من الصَّدَاقِ[٧] كذا. فاستَخِيروا[٨] اللهَ، ورُدُّوا خيرا».

---

(١) الكبرياء: العَظَمةُ والمُلْك.

(٢) الإمْسَاك: كنايةٌ عن استمرار الزَّوْجيَّة.

(٣) التَّسْريحُ: التّطليقُ والتّخْليةُ والتَّرْكُ.

(٤) يشير إلى قوله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾. [البقرة: ٢٢٩].

(٥) في البيان والتبيين ٢: ٨٠، والعقد ٤: ١٥٠: «الأنساب». وهو قريب مما قبله، وتكرارٌ له. والأسباب: جمع سبب، وهو الوُصْلَةُ والوَسيلة.

(٦) المنهاج: الطريق.

(٧) الصَّداق: مهر المرأة.

(٨) استخار الله: طلبَ منه الخِيَرَةَ، وهي الاسم من الاختيار، أي: أن يختار له أصلح الأمرين، ويعطيه ما هو خيرٌ له.

١٠ ـ خُطْبَةٌ لخالدِ بن صَفْوَانَ المِنْقَريِّ في زواجِ مَوْلًى له

البيان والتبيين ٢: ١٩٥

والعقد ٤: ١٥١

قَالَ مَوْلًى لخالدِ بنِ صَفْوَانَ: زَوِّجْني أَمَتَكَ فلانة؟ قال: قد زَوَّجْتُكَها. قال: أَفَأُدْخِلُ الحيَّ حتى يَحْضُرُوا الخِطْبَةَ؟ فقال: أدْخِلْهُم! فلمَّا دَخَلُوا ابتدأ خالدٌ، فقال: أمَّا بَعْدُ،

«فإنَّ الله أجَلُّ وأعزُّ من أنْ يُذْكَرَ في نِكَاحِ هذينِ الكَلْبَيْنِ! وقد زَوَّجْنَا هذه الفاعلَة من هذا ابنِ الفاعلةِ»!

١١ ـ خُطْبَةٌ لخالدِ بنِ صَفْوانَ المِنْقَريِّ في خِطْبَتِهِ لامرأةٍ على نَفْسِه

أنساب الأشراف ١٢: ٣٠٢

وعيون الأخبار ٤: ١٤

«خَطَبَ خالدٌ امرأةً من بني سَعْدٍ، فقالَ لها: أنا خالدُ بنُ صَفْوَانَ ، والحَسَبُ[١] ما عَلِمْتِ، وكثرةُ المالِ على ما بَلَغَكِ، وفيَّ خِصَالٌ أُعْلِمُكِ بها لِتُقْدِمي على مَعْرفةٍ: إنَّهُ لا سبيلَ إلى دَرْهَمي ودِيناري، وأنا مَلُولٌ[٢] فربما أَتَتْ عليَّ ساعةٌ لو أنَّ رأسي في يدي لَطَرَحْتُهُ[٣]!فقالت: قد فَهِمْتُ ما ذَكَرْتَ، وهذه خصالٌ ما كانت لِتَرْضَاها بعضُ بناتِ إبليس! فكيفَ بناتُ آدَمَ! فارْجِعْ مَوْفُوراً[٤]»!

---

(١) الحَسَبُ: الشَّرَفُ الثابت في الآباءِ، وهو ما يُعَدُّ من مفاخرهم وفَعالِهم الحَسَنِ مثل الشَّجاعةِ والجودِ وحُسْنِ الخُلُقِ والوَفاءِ. والمراد عُلُوُّ المنزلة.

(٢) رَجُلٌ مَلُولٌ: يَمَلُّ إخوانَهُ سريعاً ويُعْرِضُ عنهم، أي: يَسْأَمُهم ويَبْرَمُ بهم.

(٣) طرَحَ الشيءَ: رَمَى به.

(٤) المَوْفُور: الشيءُ التّام غيرُ المَنْقُوص.